جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

السنة الأولى

علم آثار ما قبل التاريخ

الفصل الثاني

أ. د. أحمد دياب أ. د. حسام غازي

العصر الحجري الحديث في بلاد الشام

يؤرخ العصر الحجري الحديث في سورية على نحو ١٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ سنة ق.م، ويطلق عليه اسم النيوليت, وهي في الأصل تسمية يونانية من (Neos) أي حديث و (Lithos) أي حجر. حدث خلال هذا العصر التحول الجذري والأهم في تاريخ البشرية وهو الانتقال من الصيد والالتقاط إلى الزراعة والتدجين, أي تحول الإنسان من مستهلك سلبي لخيرات الطبيعة الحرة إلى منتج إيجابي, وبمعنى آخر تحول من الاقتصاد الاستهلاكي إلى الاقتصاد الإنتاجي, وهذا ما أدى بدوره إلى الانتقال من قرى الصيادين التي ظهرت أواخر العصر الحجري القديم إلى قرى المزارعين وتلا ذلك تقدم شامل في كل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والروحية, وكان هذا التغير كبيراً إلى درجة أطلق عليه اسم الثورة النيوليتية, ونتيجةً لما شهده هذا العصر من تحولات فقد تم تقسيمه إلى عصرين هما:

أولاً:عصر النيوليت ما قبل الفخار: يؤرخ على الفترة الممتدة من ١٠٠٠٠ إلى ٦٩٠٠ سنة ق.م.

ثانياً: عصر النيوليت الفخاري: يؤرخ على نحو ٦٩٠٠ إلى ٦٠٠٠ سنة ق.م.

عصر النيوليت ما قبل الفخار

يؤرخ على الفترة الممتدة من ١٠٠٠٠ إلى ٦٩٠٠ سنة ق.م, ويقسم بدوره إلى عصرين هما:

النيوليت ما قبل الفخار A: يؤرخ على نحو ١٠٠٠٠ إلى ٨٧٠٠ سنة ق.م

النيوليت ما قبل الفخار B: يؤرخ على نحو ٨٧٠٠ إلى ٦٩٠٠ سنة ق.م

أولا: النيوليت ما قبل الفخار A: يؤرخ على نحو ١٠٠٠٠ إلى ٨٧٠٠ سنة ق.م ويضم ثلاثة ثقافات وهي:

١-الثقافية الخيامية

سميت هذه الثقافة بالخيامية نسبة إلى ملجأ الخيام الواقع إلى الغرب من البحر الميت في فلسطين. **الإطارين الكرونولوجي والجغرافي:** تمثل هذه الثقافة بداية المشهد الثقافي للعصر الحجري الحديث [النيوليت] في المشرق العربي القديم، وهي متوضّعه ستراتيغرافياً في المشرق الشمالي بين الثقافتين النطوفية والمريبطية، ومتوضّعه في المشرق الجنوبي بين

الثقافتين النطوفية والسلطانية، وتؤرخ على الفترة الممتدة من ١٠٠٠٠ إلى ٩٥٠٠ سنة ق.م. وهي ثقافة ذات انتشار واسع في المشرق العربي القديم، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها ملجأ الخيام ، وحاتولة، وناحال أورين، وأبو ماضي، وصليبية وجلجال في فلسطين، وجبل البلعاس وموقع المريبط في سورية، وموقع نشاريني في جبال لبنان الشرقية، والأزرق في الأردن.

العمارة: سكن الخياميون في قرى بسيطة بيوتها دائرية أو بيضوية صغيرة مؤلفة من خلية واحدة فقط، جدرانها من الطين، وسقوفها من الخشب، وهي مبنية مباشرةً على السطح كما في موقع المريبط وأبو ماضي، كما شيد الخياميون أبنية خاصة وهي عبارة عن أبنية جماعية، وكانت هذه الأبنية على عكس البيوت، حيث كانت مغروزة في الأرض ومقسمة بواسطة جدران صغيرة وفقاً لنظام شعاعي، وتم التعرف على مثل هذه الأبنية في موقع المريبط، وفي موقعين من منطقة بلعاس وهما موقع وادي طمباق ١ وموقع وادي طمباق ٣، ولا بد من الإشارة إلى أن الخياميون استخدموا قش الحبوب [التبن] وللمرة الأولى في البناء، حيث استخدموه في أرضيات المباني وفي بناء الجدران، ومثال على ذلك المباني الخيامية

التي عثر عليها في موقع المريبط الذي يقدم لنا أقدم شاهد في العالم على استخدام التبن في مجال البناء.

مصادر الغذاء: اعتمد الخياميون في معيشتهم على الصيد والالتقاط، حيث اصطادوا الغزال والماعز والسمك، وجمعوا الحبوب والثمار البرية.

الصناعات الحجرية: صنع الخياميون الأدوات الحجرية واستخدموها في حياتهم اليومية، واعتمدوا في تصنيعها على تقنية التقصيب ثنائية القطب، ومن بين هذه الأدوات كانت الأدوات الحجرية الميكروليتية الصغيرة، واشتهروا بنوع خاص من رؤوس السهام سمية نبال الخيام المصنعة على نصال صغيرة ولها عند قاعدتها فرضتان متقابلتان وليس لها ساق بل نهاية مشذبة ومقعرة، كما استخدموا أيضاً نوع أخر من النبال يدعى نبال حلوان، وصنعوا الأدوات الثقيلة وبخاصة الأجران والمجاريش والبلطات، بالإضافة إلى الأدوات العظمية المتقنة الصنع مثل الأمشاط والإبر

الحياة الرمزية: كان للخياميون حياتهم الرمزية الخاصة بهم التي عبروا عنها من خلال الفنون وممارسات الدفن، حيث تجسد الدمى النسائية –التي عثر عليها في معظم المواقع

الخيامية– من وجهة نظر معظم الباحثين عبادة الخصب أو الإلهة الأم، كما هو الحال في موقع صليبية، وجلجال، ونحال أورين، وملجأ الخيام وموقع المريبط. ومن أهم هذه الدمى كانت دمية حجرية عثر عليها في موقع جلجال الواقع في وادي الأردن في فلسطين، وهي بوضعية الوقوف، وتعتبر هذه الدمية أوضح دمى الثقافة الخيامية، حيث أنها اسطوانية الشكل، وتزداد عرضاً لتعبر عن الساعدين، أما الوجه فهو محزز عند العينين بشكل أفقي، والأنف مشار إليه، وكذلك الفم، وربما كان الشق الطولي في أسفل الدمية للإشارة إلى أنوثة الدمية أو القدمين. كما عبر الخياميون عن حياتهم الرمزية وخاصة في موقع المريبط على الفرات السوري من خلال دفن جماجم الثور في أرضيات السكن، وتعليقها على الجدران أيضاً، وهذا يشير إلى المكانة المقدسة لهذا الحيوان في حياتهم. أما بالنسبة للدفن، فقد دفن الخياميون موتاهم بعناية تحت أرضيات بيوتهم، ومثال على ذلك موقع أبو ماضي الذي عثر فيه على هيكل بشري يعود إلى فتاة شابة مدفونة داخل حفرة تحت أرضية البيت بوضعية الثني، بالقرب من الجدار الداخلي للبيت.

٢-الثقافة المريبطية

سميت هذه الثقافة بالمريبطية نسبةً إلى تل المريبط الواقع في وادي الفرات الأوسط في سورية.

التأريخ: تعود هذه الثقافة للعصر الحجري الحديث [النيوليت]، وبالتحديد إلى المرحلة المسماة النيوليت ما قبل الفخار A، المؤرخة على الفترة الممتدة من ٩٥٠٠ إلى ٨٧٠٠ ق.م.

الإطار الجغرافي: تنتشر المواقع الأثرية العائدة لهذه الثقافة في الشمال السوري، حيث عثر عليها في العديد من مواقع الفرات الأوسط مثل موقع المريبط، والجرف الأحمر، وأبو هريرة، والشيخ حسن، وتل العبر ٣ وجعدة المغارة، وكذلك في موقع تل قرامل في وادي نهر قويق.

مصادر الغذاء: تمثل الثقافة المريبطية مجتمعات زراعية قروية، عاشت في منطقة الفرات الأوسط الحياة الزراعية المسماة ما قبل التدجينية، حيث كانت حبوب القمح والشعير متوفرة بكثافة خلال تلك الفترة، ولكنها برية، ونلاحظ وجود تدخل سلوك بشري زراعي وإنما دون نتيجة ملحوظة على مستوى شكل النباتات، واعتمد المريبطيون أيضاً على التدجين حيث

دجنوا الغنم، والماعز، والبقر بالإضافة إلى الأنواع الشرسة كالخنزير والثور، كما استمروا في الاعتماد على الصيد الذي كان يؤدي دور مهم خلال تلك الفترة.

الصناعات: صنع المريبطيون الأدوات الحجرية واستخدموها في حياتهم اليومية، وتتميز صناعاتهم الحجرية من الناحية التكنولوجية بإنتاج نصال مستقيمة انطلاقاً من نوى ثنائية القطب جانبية أو سفينية الشكل، وهناك أيضاً نصال ضخمة أحادية القطب مصنوعة من الصوان أو الأوبسيديان. أما بالنسبة للأدوات فكان من أهمها نبال المريبط ونبال الجرف الأحمر التي استخدموها في الصيد، بالإضافة للمقاشط والأزاميل والمخارز والسكاكين والبلطات، والأدوات الزراعية كالمناجل الصوانية والرحى والأجران والمدقات، والى جانب هذه الأدوات الحجرية استخدم المريبطيون مادة العظم في صناعة الأدوات مثل المخارز والإبر التي استخدموها في صناعة الجلود

العمارة: سكن المريبطيون في قرى منظمة ومؤلفة من بيوت تفصل بينها شوارع وباحات، كما تحتوي أيضاً على مباني جماعية–شعائرية، حيث شهدت هذه الفترة ظهور المباني الجماعية المركزية، وهي عبارة عن منشآت معمارية ضخمة تتوسط الأبنية الصغيرة المكونة للقرية.

وظهرت هذه المباني في بداية النيوليت ما قبل الفخار A، وكانت مقسمة إلى حجرات صغيرة ومصطبة تتوسط الفسحة الداخلية، لذلك أطلق عليها اسم المباني المتعددة الوظائف، حيث تم استخدامها من قبل سكان القرية للتخزين وإقامة الاجتماعات، ومثال على ذلك المباني التي عثر عليها في موقع الجرف الأحمر وتل المريبط، ثم تطورت الفكرة الجماعية لهذه المباني في الفترة الانتقالية بين النيوليت ما قبل الفخار A و B فاختفت الحجرات التخزينية لتبقى المصطبة في الفسحة الداخلية، وقد زينت واجهتها بواسطة أعمدة مطلية، وبلاطات منحوتة ومزخرفة بأشكال حيوانية وهندسية، لتصبح متخصصة بوظيفة واحدة وهي اجتماعية أو طقسية، ومثال على ذلك المباني التي عثر عليها في موقعي الجرف الأحمر وتل العبر ٣. وتشير نتائج الأبحاث والتنقيبات الأثرية في المواقع العائدة لهذه الثقافة إلى أن عمارة القرى المريبطية قد تطورت على مرحلتين:

المرحلة الأولى: تدعى المريبطي القديم، وتم توثيقها من خلال السوية A III من موقع المريبط، إن مساحة القرية المريبط خلال هذه المرحلة غير معروفة، ولكن من خلال دراسة الجزء المنقب من هذه القرية يمكن تصورها على أنها تجمّع من بيوت مستديرة متنوعة

المقاييس تتدرج على منحدر، ويوجد بين البيوت مساحات فارغة تضم المواقد الكبيرة المملوءة بالحصى. ونلاحظ استمرار البيوت المستديرة المعروفة في المرحلة السابقة، والتي أصبحت أكثر اتساعاً حيث يصل قطرها إلى حوالي ستة أمتار ونصف مدفونة أو مبنية على السطح مباشرةً، وجدرانها من تراب مدكوك، ويغطي المنزل سقف مسطح من الطين قائم على حوامل خشبية متلاقية ومتصلة، محمولة هي نفسها بواسطة روافد تتجه باتجاه المحيط ابتداء من ساكف داخلي يقع في نهاية الممر. وكانت هذه البيوت مقسمة من الداخل لحجرات بواسطة جدران مستقيمة، حيث توجد حجرة للنوم مقابل المدخل وهي غالباً ما تكون مرتفعة قليلاً، وحجرة للموقد وحجرة لتخزين المؤن.

المرحلة الثانية: وتدعى المريبطي الحديث، شهدت هذه المرحلة تطوراً كبيراً في مجال العمارة، اعتبره البعض أنه يمثل ثورة معمارية، حيث ظهرت خلالها البيوت المستطيلة الشكل لتحل بشكل تدريجي مكان البيوت المستديرة التي كانت سائدة سابقاً، وكذلك حدث تطور مهم على صعيد تنظيم أماكن السكن وتنظيم القرى. بلغت مساحة القرية المريبطية في السوية B III من موقع المريبط أكثر من هكتارين، حيث استمرت البيوت الدائرية فيها وظهرت

المنشآت المستطيلة، أرضياتها طينية، وجدرانها مبنية من الحجارة الحوارية المنحوتة على شكل متطاول مربوطة مع بعضها البعض بواسطة ملاط، ومقسمة إلى خلايا مربعة لا يتجاوز طول ضلعها في أغلب الأحيان ١م، وربما استخدمت للتخزين، وتواجدت معها في نفس المكان بيوت دائرية قطرها ٣ إلى ٤م وغير مقسمة، استخدمت للسكن.

أما بالنسبة لقرية الجرف الأحمر فتبدو المساحة الظاهرية للقرية قريبة من هكتار واحد، ويبدوا أنها توافق في آن معاً المريبطي القديم والحديث في المريبط، ويعد هذا الموقع من أفضل المواقع التي تعطينا فكرة عن تطور العمارة خلال عصر النيوليت ما قبل الفخار A. يتألف الموقع من تلين صغيرين، تل شرقي وآخر غربي، بدأ الاستيطان في الموقع على التل الشرقي الذي كشف فيه عن ستة مستويات لقرى متتالية، تطورت فيها العمارة من الأشكال الأقدم ذات المخطط الدائري وشبه الدائري والبيضوي إلى الأشكال شبه المستطيلة وأخيراً المستطيلة، أما على التل الغربي فبدأت العمارة شبه مستطيلة ومستطيلة تفصلها جدران مائلة. وبالإضافة إلى التطور الذي حصل على مخططات البيوت نلاحظ أيضاً أن مكان السكن أصبح أكثر تنظيماً حيث زودت البيوت بالمواقد، وحفر التخزين، وأدراج ومصاطب،

وأصبحت القرية أكثر تنظيماً حيث يوجد فيها شوارع صغيرة وباحات فارغة. أما بالنسبة لمواد البناء فقد استخدموا الحجر المقطوع الطويل /سيجار/ والخشب واللبن.

الحياة الرمزية: عبّر المريبطيون عن حياتهم الرمزية بعدة أشكال كان أبرزها التماثيل الإنسانية التي تجسد الربة الأم رمز الخصوبة، وكذلك النقوش والرسوم التي تناولت مواضيع إنسانية وحيوانية وهندسية، كما عبروا عن حياتهم الرمزية من خلال ممارسات الدفن، وممارسات أخرى مثل تعليق جماجم الثور على الجدران ودفن التماثيل الحجرية الصغيرة وعظام الحيوانات.

بالنسبة للتماثيل فقد شهدت الثقافة المريبطية حدوث تغير أساسي ومهم عما سبقها من ثقافات، إذ نجد تماثيل بشرية صغيرة تمثل الربة الأم، ومثال على ذلك موقعي المريبط والجرف الأحمر، حيث عثر في موقع المريبط على ثمانية دمى إنسانية، أربعة منها مصنوعة من الطين والأربعة الأخرى مصنوعة من الحجر، وجميع هذه الدمى نسائية باستثناء دمية واحدة فقط من الحجر الأحمر تمثل رجلاً وذلك من خلال اللحية الواضحة، وقد مُثّل بعض هذه الدمى بواقعية والبعض الآخر بشكل مختزل، وترمز الدمى النسائية التي

عثر عليها في هذا الموقع للإلهة الأم رمز الخصوبة. وبالنسبة لموقع الجرف الأحمر فقد عثر فيه على دمية تمثل وجه بشري، قاعدتها دائرية، مصنوعة من الحجر، وارتفاعها ٤ سم، وعرضها ٢ سم، والعينان مشكلتان عن طريق تجويفين وفي الوسط يمتد الأنف ومن ثم الفم عن طريق تحزيز عرضي.

أما بالنسبة للنقوش والرسوم فقد كانت مواضيعها غنية ومتنوعة ومستقاة من البيئة التي عاش فيها الإنسان، وهي تندرج في ثلاثة مواضيع: التمثيل الحيواني والتمثل الإنساني والتمثيل الهندسي الذي غالباً ما يكون مرافق للتمثيل الحيوان وفي بعض الأحيان يعبر عنه بشكل مستقل. وكان يتم هذا التمثيل على العناصر المعمارية للمباني كالبلاطات والدعائم الحجرية، والأعمدة الطينية أو الطلية الطينية، وتختلف المواضيع الممثلة بحسب وظيفة المبنى، كما كان يتم التمثيل على ألواح حجرية صغيرة مستقلة.

بالنسبة للتمثل الحيواني، فقد عثر في تل العبر ٣ ضمن المبنى الجماعي المتخصص B٢ على بلاطات زنرت وزينت مصطبة المبنى من الداخل، نحت على إحداها جمجمة ثور بالنحت النافر، ونحت على ثلاث منها الفهد المرقط بشكل إفرادي وثنائي

وثلاثي، بطريقة تصوير موحدة. كما نحت بشكل غائر على إحدى البلاطات المركزية في المبنى الجماعي B٢ حيوان الغزال فوق أربعة خطوط منكسرة ومزدوجة، يقطعها خطان متوازيان، حيث امتلأ الفراغ بينهما بخطوط صغيرة، ووضعت هذه البلاطة بشكل طولاني بين عموديين من الطين، في حين كان تصوير الموضوع بشكل عرضاني. وفي المبنى الجماعي AE ٥٧ في موقع الجرف الأحمر تم تصوير الأفعى بشكل تجريدي مع بعض الزخارف الهندسية على الأعمدة الخشبية المطلية بالطين. كما نحت على أحد الألواح المكسورة في الجرف الأحمر رأس ثور، وأحيط بالزخارف الهندسية وإطار مزدوج على شكل خطوط منكسرة، وصور الرأس بالنحت الغائر. كما مثلت قرون الثور بشكل تجريدي على لوح من الكلوريت أبعاده ٥ × ٣ سم، حيث نحتت خطوط منحنية ونقط غائرة على هيئة قرون الثيران بلغ عددها ما يقارب الثلاثين، وفي وسط أعلى اللوح نحتت قرون لثور مع مقدمة الرأس ونحت فوقها أربع نقط غائرة، تميزت عن باقي التمثيل، وذهب العلماء في تفسير هذه الأشكال بأنها تصوير لقطيع من الثيران في مقدمتها الثور الأكبر، وعلى الوجه الآخر للوح نحتت خطوط متقاطعة في أسفلها نحتاً لشكل أفعى.

أما المشاهد الإنسانية فكان من أبرزها مشهد الصيد في موقع تل العبر ٣ ، الذي نقش بشكل غائر على بلاطة من الحجر الكلسي أبعادها ٦٠×٣٥ سم، وهو يمثل شكل إنسان عار يرفع بكلتا يديه قوساً وسهماً يسدده باتجاه ثور ضخم في أعلى اللوحة، وعبر عن هذا الشكل الإنساني بخطوط مستقيمة، أما رأسه وأطرافه بحفر غائرة، كما أن العضو التناسلي يظهر أيضاً، وفي الجهة اليمنى من اللوحة ظهر شكل طائر ضخم في حين ظهرت خطوط متقاطعة عشوائية في وسطها. ومن المشاهد الإنسانية الهامة أيضاً مشهد التعبد في موقع الجرف الأحمر الذي عثر عليه في المبنى الجماعي ١٠٠ AE، حيث نحت على بلاطة [أبعادها ٢٥٠ × ٦٥ × ١٦ سم] ثلاثة أشكال إنسانية بين الواقعية والتجريدية، تبين أنها بوضعية الجلوس على الأرض، والفخذان تلامسان الخاصرتين تقريباً، أما الساعدان فقد ارتفعا إلى الأعلى بمحاذاة طرفي الرأس، واليدان فوقه، وقد نحتت الأشكال الثلاثة بنفس الوضعية غير أنه يمكننا تمييز واجهاتها، فإحداها أنثوية والأخرى ذكرية تم تصويرهما من الأمام إلى داخل المبنى، حيث تم توضيح الأعضاء التناسلية في التصوير، أما التمثيل الأخير فقد صور من الخلف، وفي الحالات الثلاثة لم تظهر معالم الوجه وقد اندمجت

الأشكال الثلاثة من الأعلى بإفريز على شكل خطوط منكسرة بمثلثات نافرة كانت قد زينت الجزء العلوي من البلاطة.

أما بالنسبة للدفن فقد دفن المربيطيون موتاهم في أرضيات منازلهم وذلك بعد فصل الجمجمة عن الجسد، حيث اكتشفت في موقع المربيط حالات دفن جماعي للجماجم المفصولة عن الجسد، كما عثر على حالات دفن فردية لجمجمة مفصولة عن الجسد. وفي موقع الجرف الأحمر عثر على جماجم مفصولة عن الجسد موضوعة في موقد موجود في باحة وكانت أرضية الموقد مقعرة ومملوءة بالحصى وتشير الدلائل أن الموقد كان مشتعلاً لحظة وضع الجماجم فيه. وعثر أيضاً في موقع تل قرامل على ثلاثة هياكل عظمية بوضعية الجنين، ودفن أحد هذه الهياكل من دون جمجمة، كما عثر على عظام حيوانات مع هذه الهياكل.

ومن بين الممارسات الطقسية التي مارسها المربيطيون لإبراز المكانة التي كان يتمتع بها الثور عندهم كرمز للقوة والخصوبة الذكرية كانت دفن جماجمه وقرونه في مصاطب وجدران المنشآت المعمارية في معظم مواقع الشمال السوري ومن بين تلك المواقع موقع تل العبر ٣

الذي كشف فيه عن مبنى جماعي ضخم مدفون ضمن الأرض ارتفعت على أرضيته مصطبة على شكل رأس ثور، كانت مخصصة لدفن جماجم وقرون وعظام الثور بطريقة طقسية فريدة، حيث تم تغطيتها ولفها بالطين والحصى النهرية قبل دفنها بأماكن محددة ضمن المصطبة، كما وجدت حول هذه المصطبة أحواض كلسية وأجران بازلتية ومكان للنار كان لها علاقة بإقامة الطقوس الشعائرية التي كانت تقدس هذا الحيوان بلا شك. كما عثر في نفس الموقع على جمجمة ثور مدفونة بطريقة طقسية في مصطبة مبنى جماعي مزين ببلاطات مزخرفة. ومن بين تلك المواقع أيضاً تل قرامل الذي عثر فيه على ثلاث جماجم مدفونة خلف بعضها في حفرة مخصصة لهذا الغرض. وتجدر الإشارة أيضاً إلى عادة تعليق جماجم الثور وقرونه على جدران المنشآت المعمارية بغية إبراز مكانته المقدسة، ومثال على ذلك موقعي الجرف الأحمر وتل العبر ٣، حيث عثر في أحد المباني الدائرية في موقع الجرف الأحمر على أربع جماجم معلقة ومزينة بواسطة عقود صنعت خرزاتها من الطين، كما عثر على قرون الثور معلقة على جدار أحد المساكن في موقع تل العبر ٣

٣-الثقافة السلطانية

سميت هذه الثقافة بالسلطانية نسبةً إلى موقع تل السلطان/ أريحافي وادي الأردن

الإطارين الكرونولوجي والجغرافي: تعود هذه الثقافة إلى بداية العصر الحجري الحديث [النيوليت]، وبالتحديد إلى المرحلة المسماة النيوليت ما قبل الفخار A، وتؤرخ على الفترة الممتدة من ٩٥٠٠ إلى ٨٣٠٠ ق.م، وتنتشر المواقع الأثرية العائدة لها في القسم الجنوبي من المشرق العربي القديم، ومن أهمها موقع نتيف هغدود وجيلغال ١ وجشر في غور الأردن، وموقع ظهر الذراع في الأردن، وموقع الخيام والسويات العليا من موقع حتولا في الصحراء الفلسطينية، ونضيف إلى هذه المواقع موقع تل السلطان [أريحا] الموقع الأم لهذه الثقافة.

العمارة: تمثل هذه الثقافة مجتمعات نيوليتية عاشت في قرى منظمة ومؤلفة من بيوت دائرية تفصل بينها شوارع، ويعتبر موقع أريحا من أهم المواقع التي تعطينا فكرة واضحة عن العمارة السلطانية، حيث بلغت مساحة القرية النيوليتية فيه حوالي ثلاثة هكتارات، وكانت بيوتها دائرية، يصل قطر كل منها إلى ٥م، ويتألف معظمها من غرفة واحدة نصف مدفونة يتم

الوصول إليها من خلال درج خشبي، بنيت جدرانها من اللبن الطويل المصنوع من الأجر، ويتم الربط بين اللبن بالملاط، وكانت أرضياتها مبلطة، أما السقف فكان يغطى بأغصان الأشجار والطين. كما عثر في هذا الموقع على برج كبير مبني من الحجر، يصل ارتفاعه إلى ٨،٥م وعرضه عند القاعدة ١،٥م، يتم الصعود إليه من خلال درج حلزوني له ٢٢ درجة، ويتم الدخول إليه عن طريق باب ارتفاعه ١،٧م، كما يوجد سور ملاصق للبرج عرضه ٣م وارتفاعه ٣،٩ م وطوله ٨م، ويرى بعض الباحثين أن مهمة هذا البرج دفاعية، بينما يرى البعض الآخر أنه للحماية من الفيضانات عند هطول الأمطار الغزيرة وعثر أيضاً في العديد من المواقع السلطانية على نماذج معمارية مشابهة لما عثر عليه في موقع أريحا ومثال على ذلك موقع وجيلغال ١، وجشر.

مصادر الغذاء: عاشت المجتمعات القروية العائدة لهذه الثقافة حياة الزراعة المسماة ما قبل التدجينية، حيث كانت حبوب القمح والشعير متوفرة بكثافة خلال تلك الفترة، واعتمدت أيضاً تلك المجتمعات على التدجين، حيث دجّنوا الغنم والماعز والبقر بالإضافة إلى الأنواع الشرسة كالخنزير والثور

الصناعات: صنع حرفيو هذه الثقافة الأدوات الحجرية والعظمية واستخدموها في حياتهم اليومية. وتتميز الصناعات الحجرية السلطانية من الناحية التكنولوجية بإنتاج النصال انطلاقاً من نوى وحيدة أو ثنائية القطب من الصوان أو الأوبسيديان. أما بالنسبة للأدوات فنلاحظ استمرار استخدام نبال الخيام في تسليح السهام إلى جانب نبال أريحا، وبالإضافة إلى ذلك نلاحظ وجود المقاشط، والأزاميل، والمخارز، والسكاكين، والبلطات ذات القاطع المسنون بواسطة تشذيب جانبي. كما صنعوا الأدوات الزراعية من الحجر أيضاً كالمناجل الصوانية من النمط المسمى [بيت عامر]، والرحى، والأجران والمدقات، والى جانب هذه الأدوات الحجرية استخدم السلطانيون مادة العظم في صناعة الأدوات مثل المخارز والإبر وغيرها من الأدوات التي استخدموها في صناعة الجلود. كما تميزوا بصناعة السلال التي استخدموا في تصنيعها ثلاثة تقنيات وهي المجدولة والحلزونية وذات الطبقات المتراكبة

الحياة الرمزية: عبر السلطانيون عن حياتهم الرمزية من خلال الفنون التي جسدت بشكل أساسي عبادة الربة الأم، وعبروا عنها أيضاً من خلال ممارسات الدفن التي جسدت بدورها من وجهة نظر بعض الباحثين عبادة الأسلاف. عثر في المواقع العائد لهذه الثقافة على

العديد من التماثيل الطينية الأنثوية التي تجسد الربة الأم رمز الخصوبة، ونذكر منها الدمية الأنثوية التي عثر عليها في موقع نتف هغدود وهي عبارة عن دمية طينية واضحة الأنوثة، يشار للصدر بشكل تحدبين صغيرين، أما المؤخرة فيشار إليها بوضوح وهي منطقة الارتكاز للدمية، ونذكر من هذه الدمى أيضاً الدمية التي عثر عليها في موقع ظهر الذراع وهي عبارة عن دمية طينية مفقودة الرأس، والرجل اليمنى فيها مكسورة، ويوجد على الظهر حزوز طولانية، وتوحي الدمية بأنها أنثوية من الشكل العام وخصوصا نحولة الخصر وشكل المؤخرة ونذكر أخيراً الدمية التي عثر عليها في موقع أريحا وهي عبارة عن دمية مفقودة الرأس، والأثداء فيها بارزة واليدان تحتهما، والقسم السفلي منها يشبه الرداء الفضفاض، ولا توجد إشارة للأقدام وعثر أيضاً على بعض التماثيل للذكور التي يظهر فيها العضو الذكري، كما عثر على بعض التماثيل الحيوانية التي تجسد الغنم والخنزير

دفن السلطانيون موتاهم بعناية، ويعد موقع أريحا من أهم المواقع التي اكتشفت فيها المدافن السلطانية، حيث عثر فيه على ٢٧٦ هيكلاً عظمياً بشرياً مدفوناً داخل حفر تحت أرضيات السكن في البيوت وداخل المنطقة السكنية، وكانت هذه الحفر بسيطة التكوين، خالية من

المظاهر المعمارية باستثناء حفرة واحدة فقط ظهرت فيها عناصر معمارية ممثلة بطوب طيني صغير يحيط بمدفن ضم هيكلاً لامرأة تبلغ من العمر حوالي ٣٠ عاماً. وتميزت بعض المقابر بوجود جماجم بشرية ملئت فراغاتها وشكلت ملامحها بالملاط الكلسي المحّضر بشكل خاص كمادة تحنيط، وعليها علامات بعضها له شارب مرسوم وبعضها حليق الرأس، وقد ظهر في بعضها على الجزء العلوي للرأس غطاء، كما ثبتت في بعضها صدفتان في فجوتي العينين لتحل محلهما، بينما كانت بعض الرؤوس مطلية باللون الأسود إشارة إلى لون الشعر. ويتفق معظم العلماء على أن معالجة الرأس بهذه الطريقة والاهتمام بها تدل على عقيدة عبادة الأسلاف. كما كشف في أريحا أيضاً عن مدافن فصلت فيها رؤوس الجثث عن أجسادها ودفنت مستقلة

ثانياً: النيوليت ما قبل الفخار B: يؤرخ على نحو ٨٧٠٠ إلى ٦٩٠٠ سنة ق.م, ويقسم بدوره أيضاً إلى ثلاثة عصور هي:

١- النيوليت ما قبل الفخار B القديم

يؤرخ هذا العصر على نحو ٨٧٠٠ إلى ٨٢٠٠ ق. م[١]، وتنتشر المواقع الأثرية العائدة له في سورية والأناضول وقبرص، ومن أهم تلك المواقع في سورية موقع المريبط والشيخ حسن وجعدة المغارة على الفرات الأوسط، وموقع تل الكرخ في سهل الروج في محافظة أدلب، وموقع قراصة في محافظة السويداء

مصادر الغذاء: يمثل هذا الأفق الثقافي مجتمعات زراعية قروية، عاشت في المناطق أنفة الذكر الحياة الزراعية المسماة ما قبل التدجينية، حيث كانت حبوب القمح والشعير متوفرة بكثافة خلال تلك الفترة، ولكنها برية، ونلاحظ وجود تدخل سلوك بشري زراعي وإنما دون نتيجة ملحوظة على مستوى شكل النباتات، كما اعتمدت تلك المجتمعات على التدجين، حيث دجنوا الغنم والماعز، بالإضافة إلى الثور في الأناضول، وبقي الصيد أيضاً يؤدي دور مهم في حياة تلك المجتمعات النيوليتية

الصناعات: صنع سكان تلك القرى الأدوات الحجرية واستخدموها في حياتهم اليومية، وتتميز صناعاتهم الحجرية من الناحية التكنولوجية بحضور النوى الثنائية القطب ذات الحد الجانبي الخلفي، كما نلاحظ خلال هذا العصر ظهور تقنية التقصيب بالضغط للمرة الأولى في منطقة المشرق العربي القديم التي كان يتم استخدامها فقط في تصنيع الأدوات من الأوبسيديان، وهذا ما يبدو جلياً في موقعي جعدة المغارة وتل الكرخ. أما بالنسبة للأدوات، فقد شهد هذا العصر ظهور أول تسليح نموذجي لعصر النيوليت ما قبل الفخار B ممثل من خلال نبال سهام أكبر من سابقتها تم ترقيق قاعدتها ورأسها بتشذيبات مسطحة وطويلة ومتوازية تسمى [تشذيبات صفيحية]، ويختص هذا التشذيب بنبال ذات أشكال كثيرة وبخاصة نبال جبيل وهو النمط الجديد الذي سوف يدوم لأكثر من ألفي سنة، والذي يتميز في آن واحد بتشذيبه وبسويقته المفصولة عن جسم القطعة بفرضة مزدوجة، وبالإضافة لهذه النبال فقد صنع سكان تلك القرى الرؤوس ذات القاعدة المبتورة، كما صنعوا المقاشط والأزاميل والمخارز والسكاكين والبلطات، وكذلك الأدوات الزراعية كالمناجل الصوانية والرحى والأجران

والمدقات، والى جانب تلك الأدوات الحجرية فقد صنعوا الأدوات العظمية مثل المخارز والإبر التي استخدموها في صناعة الجلود

الحياة الرمزية: استمرت خلال هذا العصر عقيدة عبادة الربة الأم رمز الخصوبة التي عبروا عنها من خلال صناعة الدمى الأنثوية، ومثال على ذلك الدمى الثلاثة التي عثر عليها في موقع جعدة المغارة، الأولى هي عبارة عن دمية أنثوية بوضعية الوقوف، مصنوع من العظم، يبلغ ارتفاعها ٣،٥ سم وعرضها ١،٥ سم، الجزء العلوي منها مكسور، ويُظهر التحزيز المشكل للقدمين والحوض أنها أنثى أما الثانية فهي عبارة عن دمية أنثوية بوضعية الوقوف، مصنوع من العظم، يبلغ ارتفاعها ٤،٥ سم وعرضها ٢ سم، وتُظهر الحزوز أنها أنثى وفيما يخص الدمية الثالثة فهي عبارة عن دمية أنثوية بوضعية الجلوس، مصنوع من الطين المطلي باللون الأحمر، يبلغ ارتفاعها ٥ سم وعرضها ٢،٥ سم، ورأسها مفقود. كما عثر في هذا الموقع ضمن السوية العائدة لعصر النيوليت ما قبل الفخار B القديم على دمية حيوانية مصنوعة من الطين، ومكسورة الرأس والقوائم، يبلغ ارتفاعها ٥سم ونصف، ويبلغ قطرها ٤سم، وهي تمثل غنم أو ثور، كما عثر أيضاً على حجر مزين بواسطة التحزيز أما في

التل الشمالي لموقع قراصة فقد عثر على قضيب عظمي بوجهين بشريين محفورين على مساحة السطح الخارجي للعظم، وذلك ضمن الطبقات الجنائزية العائدة للنيوليت ما قبل الفخار B الباكر المؤرخة على نحو ٨٣١٠ سنة ق.م، تم تنفيذ الوجهين بواسطة الحفر والنحت الغائر على قضيب عظمي محدب يعود لأحد الثدييات الكبيرة، ويبلغ طول هذا القضيب ٥١ مم، أما عرضه فيبلغ ١٧ مم، وقد أخذ هذين الوجهين الشكل العمودي على القضيب، واحد فوق الأخر

العمارة: انتهى خلال هذا العصر نمط العمارة الدائرية وحل مكانه نمط العمارة المربعة. إن العدد القليل من المواقع الأثرية المنقبة من هذا العصر لا تساعدنا على التحديد الدقيق لتنظيم القرى خلال عصر النيوليت ما قبل الفخار B القديم، ولكن يمكننا بالاعتماد على المعطيات المحدودة التي تم التوصل إليها استخلاص بعض الحقائق وخاصة من موقع جعدة المغارة الذي تم توثيق النيوليت ما قبل الفخار B القديم فيه من خلال الطبقة D ٢j المؤرخة على نحو ٨٨٠٠ إلى ٨٥٠٠ ق.م والطبقة D ٣j المؤرخة على نحو ٨٥٤٠ إلى ٨٢٩٠ ق. م. تمثل الطبقة D ٢j نمط حياة موسمي على الأرجح، حيث نلاحظ وجود لقى

أثرية تركت في المكان ناتجة عن بقايا ذبائح، وهي تشير إلى حدوث ولائم على شكل وجبات جماعية تم القيام بها قبل الهجرة الموسمية للموقع، كما تم اكتشاف بيت محروق في هذه الطبقة، وهذا ما أعطى فرصة جيدة لدراسة حالة تغطية المباني. أما بالنسبة للطبقة ٣j D فهي تمثل قرية نيوليتية عائدة لعصر النيوليت ما قبل الفخار B القديم، وتحتوي على بيوت مستطيلة الشكل مؤلفة من وحدات صغيرة، وكانت تلك البيوت مفصولة عن بعضها البعض بمساحات مفتوحة يتم توظيفها للقيام بالنشاطات اليومية، أما بالنسبة لنمط البناء فقد كانت جدران هذه البيوت مبنية من اللبن ومدعمة بالحجارة. كما يقدم لنا هذا الموقع معلومات جيدة عن الممارسات الجنائزية وخاصة فيما يتعلق بالدفن الجماعي الذي تم اكتشافه تحت أرضية بيت الموتى في هذا الموقع، إن ما أطلق عليه اسم بيت الموتى يمثل سلسلة من خمسة منازل شغلت نفس المكان لفترة طويلة من الزمن خلال استيطان الموقع، لقد كشف في بيت الموتى عن سبعة طبقات ولكن الطبقتين الأولى والأخيرة لم تحتويان على قبور، أما بالنسبة لبقية الطبقات فقد استخدم فيها المبنى بشكل متكرر للدفن لذلك أطلق عليه اسم بيت الموتى، وبالمحصلة نتج عن الاستخدام المتكرر للمبنى رفاة أكثر من ٧٠ فرداً تجسد طرق

الدفن الأولية والثانوية والدفن ضمن السلال أو الحصائر. أما بالنسبة للمواقع الأخرى، فلم يعثر في موقع الشيخ حسن إلا على بعض البيوت السكنية التي بنيت وفق لمخطط العمارة المربعة، وفيما يخص السوية b 4M من موقع المريبط العائدة لهذا الأفق لثقافي فلم تنقب إلا مساحة قليلة منها ولم يعثر فيها على عمارة، وتجدر الإشارة إلى أن المباني المكتشفة في المواقع أنفة الذكر كانت جميعها صغيرة باستثناء موقع كايوني في الأناضول الذي يعتبر الموقع الوحيد من هذا العصر الذي اكتشف فيه مبنى ذو حجم كبير ربما كان يستخدم كمبنى جماعي

٢-النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط

يؤرخ النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط على نحو ٨٢٠٠ إلى ٧٥٠٠ ق.م، وتنتشر المواقع الأثرية العائدة له في معظم مناطق المشرق العربي القديم، ومن أهمها موقع تل حالولة وأبو هريرة والمريبط في وادي الفرات الأوسط، وموقع تل أسود وتل غريفة في حوضة دمشق في سورية، وموقع البيضا وعين غزال والغوير في الأردن، وموقع منحطة ووادي حمار وخربة الخالدية في فلسطين

مصادر الغذاء: يمثل هذا الأفق الثقافي مجتمعات قروية زراعية، عاشت نمط الحياة الزراعية المدجنة [الحبوب والبقوليات] التي تبلورت تماماً في هذا العصر، وتم تعميمها في المنطقة المركزية [النووية] أي في سورية وفلسطين والأردن وجنوب تركيا، أو ما يسمى بالممر الغريني الذي يمتد من وادي الأردن إلى وادي الفرات مرورا بواحة دمشق، وهو الذي دعاه باريوسف بالممر الشرقي في مرحلة النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط، كما تمكن الإنسان خلال هذه المرحلة من استكمال عملية تدجين الحيوانات لتبلغ مرحلة النضج، حيث دجنوا الكلب والغنم والماعز والخنزير والثور والأبقار، وبالإضافة إلى ذلك فقد استمرت تلك المجتمعات في الاعتماد على الصيد والالتقاط كمصدرين ثانويين للطعام

العمارة: سكنت تلك المجتمعات في قرى منظمة ومؤلفة من بيوت تفصل بينها مساحات خارجية تحتوي على العديد من المنشآت، وتتمتع عمارة تلك الفترة بشكل عام بسمات مشتركة من أهمها التشييد وفقاً للمخطط المستطيل والمتعدد الخلايا، والجدران والأرضية المليسة بالجص، وكان المخطط النموذجي للبيوت هو المخطط المعروف (Pier–house) وهو مبنى مستطيل مؤلف من حجرتين أو ثلاث حجرات متطاولة ومتصلة ومتوضعة بشكل

متعامد على المحور الكبير للبيت. ولكن نلاحظ في بعض القرى العائدة لتلك الفترة استمرار البناء وفقاً للمخطط الدائري كما هو الحال في تل أسود في حوضة دمشق وموقع البيضا في المشرق الجنوبي.

الصناعات: صنع حرفيو هذا العصر الأدوات الحجرية التي تميزت من الناحية التكنولوجية بغياب النوى الأحادية القطب والحضور الواسع للنوى ثنائية القطب، السفينية الشكل وذات الحد الجانبي الخلفي، كما أصبحت النصال خلال هذا العصر أكثر سماكة، ونلاحظ أيضاً زيادة الاعتماد على تقنية التقصيب بالضغط على الأوبسيديان والصوان، أما بالنسبة للأدوات الحجرية فتتميز باحتوائها بشكل أساسي على نبال بيبلوس ونبال أريحا والمثاقب والأزاميل والمقاشط والسكاكين، بالإضافة للأدوات الزراعية مثل المناجل والرحى والأجران والمدقات، وفضلاً عن ذلك فقد صنع حرفيو هذا العصر بعض الأواني الحجرية والأدوات العظمية وبخاصة الإبر والمخارز ومقابض الأدوات والسكاكين المسطحة، وصنعوا أيضاً السلال والنسيج والحصر والجلود والحلي وأدوات الزينة.

الفنون: تميز فنانو ذاك العصر بشكل أساسي بصناعة الدمى المتنوعة من الطين والعظم والحجر، وهي عبارة عن دمى إنسانية أنثوية أو ذكرية ودمى حيوانية، حيث تركز اهتمام الفنانين خلال هذا العصر على تجسيد الربة الأم رمز الخصوبة والزراعة والإنجاب التي احتلت مكانة مميزة في حياة سكان تلك القرى النيوليتية ، وكان لتلك الدمى سمات عامة تجمعها ومن أهمها العيون الشبيهة بحبة القهوة، والأثداء الدالة على أنثوية هذه الدمى، وكذلك صغر حجمها، واليد اليسرى تحت الثدي الأيسر، أما أوراك وأرداف ومؤخرة تلك الدمى فكانت كبيرة وضخمة، وتبرز الوجوه وتعابيرها بشكل مؤثر، وكانت تلك الدمى إما بوضعية الجلوس التي تشير على الأرجح إلى الولادة أو بوضعية الوقوف، أما بالنسبة للدمى الذكرية فكانت أقل عدداً من الدمى الأنثوية وفيما يخص الدمى الحيوانية فقد تناولت حيوانات متنوعة من أهمها الثور الذي احتل مكانة رمزية كبيرة في حياة تلك المجتمعات، بالإضافة لحيوانية أخرى مثل الماعز والخنزير

الدفن وعبادة الأجداد: دفنت المجتمعات النيوليتية العائدة لهذا العصر موتاها داخل بيوت السكن وفي بعض الحالات خارجها، ويعتبر موقع تل أسود الواقع في حوض دمشق من أهم

المواقع التي تعطينا فكرة واضحة عن ممارسات الدفن وعبادة الأجداد خلال عصري النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط والحديث حيث عثر في المستوى ٠ B من هذا الموقع على ٢٢ قبر تم ترتيبها حول قبر جماعي يحتوي في قاعدته على أربع جماجم مقولبة، كما عثر في المستوى ٥ B على عشرة قبور على شكل قوس واحد واحتوت تلك القبور على خمسة جماجم مقولبة، وكانت معظم تلك القبور تحمل إشارات على إعادة فتحها، وأخذ بقايا من محتوياتها بشكل متكرر وبشكل خاص نقل الجماجم، وهذا يشير إلى التواصل الدائم ما بين عالمي الأحياء والأموات، ويرمز من وجهة نظر معظم الباحثين إلى عبادة الأجداد.

٣-النيوليت ما قبل الفخار B الحديث

يؤرخ هذا العصر على نحو ٧٥٠٠ إلى ٦٩٠٠ ق.م، وتنتشر المواقع الأثرية العائدة له في معظم مناطق المشرق العربي القديم، ومن أهم تلك المواقع في سورية موقع تل حالولة وأبو هريرة[٣] وبقرص في وادي الفرات الأوسط، وموقع تل أسود في حوض نهر البليخ، وموقعي تل الرماد وتل غريفة في حوضة دمشق، وموقع رأس الشمرا على الساحل السوري وموقع تل

الكرخ في سهل الروج في محافظة أدلب، وكذلك موقعي البسطة وعين غزال في الأردن وموقعي اللبوة وتل الذره في لبنان، وموقعي أبو غوش وبيسمون في فلسطين

مصادر الغذاء: يمثل هذا الأفق الثقافي مجتمعات قروية زراعية اعتمدت في معيشتها بشكل أساسي على الزراعة وتربية المواشي، حيث زرعوا حبوب القمح والشعير والبقوليات بأنواعها، ودجنوا الغنم والماعز والخنزير والثور والأبقار، كما استمرت تلك المجتمعات بالاعتماد على الصيد والالتقاط كمصدرين ثانويين للطعام

العمارة: سكنت تلك المجتمعات في قرى منظمة إلى حد كبير، مؤلفة من بيوت تفصل بينها ممرات ومساحات تحتوي على العديد من المنشآت، وكانت تلك البيوت مبينة وفقاً للمخطط المستطيل أو المربع، ومكونة من حجرة واحدة أو متعددة الخلايا، ومبنية في الغالب على قاعدة حجرية، أما جدرانها فكانت من الأجر ومطلية من الداخل بالجص الذي استعمل كذلك لطلي سطوح أغلبية الغرف وأرضياتها، كما نلاحظ في بعض القرى استمرار نمط العمارة الدائرية كما هو الحال في تل الغريفة وتل الرماد في حوضة دمشق، ومن أهم القرى العائدة لهذا الأفق الثقافي كانت قرية تل حالولة على الفرات الأوسط، حيث بلغت مساحتها نحو

ثمانية هكتارات، وتميزت ببيوتها المفصولة عن بعضها البعض بمساحات خارجية بنيت فيها مواقد وافران مدفونة وورش حرفية، وتتميز بيوت هذه القرية بمخططاتها المستطيلة الشكل، وهي مبنية على قاعدة حجرية، وجدرانها من الأجر مطلية من الداخل بالجص الذي استعمل كذلك لطلي سطوح أغلبية الغرف، وكانت تلك البيوت متعددة الغرف [ثلاثة غرف]، ويبدو أنها استعملت لوظائف مختلفة، ففي الغرفة الأكبر ذات السطح المطلي بعناية يوجد موقد وفرن، بينما الغرفتان الأخريان أصغر حجماً ولهما وظائف ثانوية، يوجد في إحداهما عدد من مخازن الحبوب وهذا يشير إلى أنها استعملت للخزن، ولا بد من الإشارة هنا إلى وجود قرون ثور في أساسات هذه المنازل، ولوحظ في هذا الموقع تعاقب أرضيات خارجية، بعضها من تربة صلصالية عثر فيها على العديد من العناصر المعمارية، أغلبها منشآت وحفر للحرق، وكان لهذه المنشآت شكل محدد (مخطط بيضوي، دائري، ...الخ) والجدران الداخلية مصقولة ومطلية بالطين، وتظهر عليها آثار الحريق بشكل واضح، والأبعاد الكلية لهذه المنشآت مختلفة ومتغيرة، حيث تم توثيق سلسلة من منشآت الحرق الكبيرة والعميقة، بالإضافة لمنشآت حرق صغيرة وقليلة العمق وكانت بأشكال متنوعة غير منتظمة وغير

مطلية، وبشكل عام فإن تعدد الأفران بأشكالها وحجومها المختلفة في هذا الفضاء تبعدنا عن فرضية الاستخدام المحلي المنزلي لهذا القطاع والتوجه أكثر هنا إلى استخدام النار في المهام الإنتاجية. ومن القرى الهامة أيضاً في ذاك العصر كانت قرية أبو هريرة [السوية الثانية] على الفرات الأوسط، التي تؤرخ على النصف الثاني من الألف الثامن ق.م، لقد أقيمت أولى بيوت هذه القرية فوق الاستيطان النطوفي في القسم الجنوبي من الموقع، وكانت تلك البيوت متعددة الغرف وذات مخطط مستطيل الشكل، وكان السقف محمولاً على جسور خشبية ومغطى بالقصب والأغصان، وبدت المداخل بين الغرف بشكل طاقات كبيرة، وقد تطورت هذا المستوطنة الصغير في النصف الثاني من الألف الثامن قبل الميلاد تطوراً واضحاً، فالطبقة الثانية من السوية الثانية توسعت لتغطي مساحة ٣٠٠×٤٠٠م، أي ما يعادل ١٢ هكتاراً. استمرت بيوت هذه الطبقة بمخططاتها ذات الشكل المستطيل، ويكشف البيت الأكثر حفظاً الذي تم تنقيبه كاملاً عن مخطط مستطيل يضم خمس غرف تراوح أبعادها ما بين ٤×٣م و٢×١.٢م، ويصل ارتفاع ما تبقى من الجدران إلى ١.٧م، وقد طليت أجزاؤها السفلى مع الأرضيات باللونين الأسود والأحمر اللامعين، أما أجزاؤها العليا فقد

كسيت بالجص الأبيض، واكتشفت في بعض الغرف مصاطب للنوم، كما احتوت إحدى الغرف موقداً أرضياً، وعثر تحت أرضيات الغرف ١-٤-٥ على هياكل مدفونة وكذلك جماجم مدفونة بمفردها. ومن القرى الهامة أيضاً المؤرخة على النيوليت ما قبل الفخار B الحديث، كانت قرية بقرص الواقعة على نهر الفرات، تبلغ مساحتها ما يقارب الثلاثة هكتارات، وكانت البيوت في تلك القرية متلاصقة جداً مع بعضها البعض، وكانت الأحياء السكنية متمركزة حول ساحات أو على جانبي الشوارع، أما بالنسبة لمخطط البيوت فكان على شكل حجرات متعددة متطاولة أو على شكل خلايا مربعة تتصل فيما بينها بواسطة أبواب منخفضة كما هو الحال في أبو هريرة، ولكن نقطة الخلاف بينهما أن الحجرات الطويلة مثل تراصفات الخلايا تبدو في بقرص موجهة مع المحور الطولاني للبيت أكثر منها مع المحور العرضاني، وهي سمة سوف نجدها في النيوليت ما قبل الفخار B المتأخر في الكوم، واستخدام الجص في تلك القرية بشكل كثيف من أجل تلييس الأرضيات والجدران، ويبدو أنه كان يخضع للتجديد دائما، وكانت الجدران الداخلية في حالات كثيرة ملونة بالأحمر، وأحياناً مزينة بنقوش بارزة أو بلوحات جداريه تصويرية.

أما في المشرق الجنوبي فمن أهم القرى العائدة لهذا الأفق الثقافي كانت مستوطنة تل الرماد التي سكن أهلها في بيوت صغيرة متجاورة على شكل أكواخ بنيت وفق نمطين، الأول كان عبارة عن بيوت دائرية قطرها ٣ إلى ٤ م، وهي مقعرة ذات جوانب غير منتظمة مطمورة إلى منتصفها وتحتوي مواقد، وكانت أرضياتها مفروشة بالكلس أو الطين المدكوك أو بألواح الحجارة، أما النمط الثاني فكان عبارة بيوت مستطيلة أو مربعة الشكل لها زوايا مستديرة، بنيت جدرانها الضيقة من الطين والحجر في المرحلة الأولى، ثم من اللبن المجفف على أساسات حجرية في المرحلة الثانية، وأصبحت أكثر سماكة، والبيوت أكبر حجماً، حيث بلغت مساحة بعضها ٤٥م^{٢}، وكانت تلك البيوت مؤلفة من حجرة واحدة رصفت أرضياتها بالحصى وطليت بالملاط الأبيض أو الطين، وفصلت بينها أزقة وشوارع وباحات أقيمت حولها منشآت خدمية، كما وجدت بينها مساحات احتوت على مصاطب وأقيمت فيها المواقد والأفران التي بلغ قطر بعضها ١٣٠ سم. ومن القرى الهامة أيضاً في المشرق الجنوبي قريتي أبو غوش والبسطة، حيث بنيت بيوتهما وفقاً للمخطط المستطيل، جدرانها من الحجارة، وأرضياتها من الكلس، وكانت البيوت في قرية البسطة متعددة الخلايا، تركزت

أرضياتها الكلسية على مصطبة مرصوفة مقطوعة بأقنية متوازية مغطاة بحجارة وهي مخصصة لخلق فراغ مجاري صحية تحت المسكن.

الصناعات: كانت الصناعات الحرفية خلال هذا العصر مشابهة في الكثير من جوانبها للصناعات الحرفية المعروفة في عصر النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط، حيث صنع الحرفيون الأدوات الحجرية التي تميزت من الناحية التكنولوجية بالحضور الواسع للنوى الثنائية القطب، السفينية الشكل وذات الحد الجانبي الخلفي، ونلاحظ أيضاً زيادة الاعتماد على تقنية التقصيب بالضغط على الأوبسيديان والصوان، أما من الناحية التيبولوجية فتتميز صناعاتهم الحجرية باحتوائها على نبال بيبلوس ونبال العمق والمثاقب والأزاميل والمقاشط والسكاكين، بالإضافة للأدوات الزراعية مثل المناجل والرحى والأجران والمدقات. كما صنع حرفيو هذا العصر بعض الأواني الحجرية والأدوات العظمية وبخاصة الإبر والمخارز ومقابض الأدوات والسكاكين المسطحة، وصنعوا أيضاً السلال والنسيج والحصر والجلود والحلي وأدوات الزينة.

الفنون: كما هو الحال في جميع مراحل العصر الحجري الحديث في منطقة المشرق العربي القديم فقد تركز اهتمام فنانو هذا العصر بشكل أساسي على صناعة الدمى المتنوعة من الطين والعظم والحجر[١٧]، وهي عبارة عن دمى إنسانية أنثوية تمثل الربة الأم أو ذكرية ودمى حيوانية تجسد حيوانات متنوعة مثل الثور والماعز والأرنب والبقرة والقنفذ والخنزير والكبش والسلحفاة لقد نالت الدمى التي تجسد الربة الأم اهتماماً كبيراً من قبل فناني ذاك العصر، وحرصوا على تجسيدها بوضعيات مختلفة مثل وضعية الجلوس التي تشير على الأرجح إلى الولادة وكذلك وضعية الوقوف أو الاستلقاء، أما من ناحية الشكل فكان لتلك الدمى سمات عامة تجمعها ومن أهمها العيون الشبيهة بحبة القهوة، والأثداء الدالة على أنوثتها، وكذلك صغر حجمها، وأيضاً اليد اليسرى الموضوعة في معظم الحالات تحت الثدي الأيسر، ومن سماتها المشتركة أيضاً الإفراط في التعبير عن الورك والأرداف والمؤخرة التي كانت كبيرة وضخمة. أما بالنسبة للدمى الذكرية، فلم يعثر على نماذج منها إلا في منطقة الفرات الأوسط وبخاصة في موقع بقرص الذي جاء التمثيل الذكري فيه من خلال تصوير الوجه القاسي الملامح والأكتاف العريضة.

الدفن وعبادة الأجداد: يعتبر موقع تل الرماد من أهم المواقع التي تعطينا فكرة واضحة عن ممارسات الدفن وعبادة الأجداد خلال عصر النيوليت ما قبل الفخار B الحديث حيث كان يتم في هذا الموقع فصل الجماجم عن الجسد ووضعها في حفر تحت أرضيات البيوت أو قريبة منها. وكان يتم قولبة هذه الجماجم بالطين المجفف والجص، ويتم تلوينها بالأحمر الغامق، ووجد معها تماثيل كبيرة يصل طولها حتى ٢٥سم تقريباً، كانت تركب هذه الجماجم عليها وتوضع في حفرة بيضوية من اللبن وبقربها إناء حجري كبير، ويبدو أن هذه الجماجم الجنائزية كانت نوعاً من الأثاث الجنائزي الذي كان يتم حفظه في مكان ما ليستحضر عند الحاجة له في بعض الطقوس. وفي الطبقة الثانية استمر هذا النوع من الدفن مع وجود عمليات دفن في وضع متعارض في حفر بجوار المساكن، حيث عثر على العديد من أجزاء الجماجم غير المليسة. أما بالنسبة للجنس فلا يوجد معيار، أي يمكن أن تكون لذكر أو أنثى وهي تخص أشخاص بالغين وأحياناً كانت ليافعين. وكانت الجبهة في بعض هذه الجماجم مطلية باللون الأحمر، والوجه مكلساً بنوع من الجص المتفحم، وتم إظهار تقاسيم الفك السفلي والرقبة، وأشير للعيون بالكلس الأكثر بياضاً. ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن

الجماجم المليسة هي نتيجة معالجة الجماجم المفصولة عن الهيكل بعد الدفن، ومن ثم نزع الفك السفلي وجزء من الجمجمة السفلية ليتم إدخال مادة جصية، وإعطاء شكل العيون في بعض الأحيان بواسطة الصدف أو تجويف يدل عليها، وبعد الانتهاء من هذه الأعمال يتم تلييس الجمجمة بالمغرة الحمراء، حيث كان يعتقد سكان تلك المستوطنة بأنها تعيد الحياة لوجه إنسان فارق الحياة وكأنه موجود بينهم.

عصر النيوليت الفخاري

يؤرخ على نحو ٦٩٠٠ إلى ٦٠٠٠ سنة ق.م, ويتميز بثلاث ثقافات في بلاد الشام وهي:

أولاً: النيوليت الفخاري في سورية

يمثل هذا الأفق الثقافي مجتمعات قروية زراعية، عاشت في معظم المناطق الجغرافية السورية خلال الفترة المؤرخة على نحو ٦٩٠٠ إلى ٦٠٠٠ ق.م. وتم توثيق هذا الأفق الثقافي من خلال الكثير من المواقع الأثرية السورية نذكر منها موق سكر الأحيمر في حوض نهر الخابور، وموقعي تل الصبي أبيض وتل أسود في حوض نهر البليخ، وموقع تل حالولة في وادي الفرات الأوسط، وتل الكرخ في سهل الروج في محافظة إدلب، وموقع تل الشير في وادي العاصي الأوسط، وموقع قراصة في محافظة السويداء الذي يتبع الثقافة اليرموكية في المشرق الجنوبي وأخيراً تل الجديدة في سهل العمق ورأس الشمرة على الساحل السوري

عاشت تلك المجتمعات في قرى كبيرة منظمة، واعتمدت في معيشتها بشكل أساسي على الزراعة وتربية المواشي، حيث زرعوا حبوب القمح والشعير والعدس والبقوليات بأنواعها،

ودجنوا الغنم والماعز والمواشي والخنزير والثور والأبقار، وتميزت تلك المجتمعات بتصنيع واستخدام الأواني الفخارية التي كان معظمها من الفخار القاتم المصقول (DFBW: Dark Faced Burnished Ware)، وتميزت أيضاً باستخدام الأدوات الحجرية وبخاصة رؤوس السهام. كما كان لتلك المجتمعات حياتها الرمزية الخاصة التي عبرت عنها من خلال الفنون وممارسات الدفن. ومن أهم القرى النيوليتية العائدة لهذا العصر:

تل الشير: يقع في وادي نهر الساروت، أحد الروافد الغربية لنهر العاصي، عثر فيه على بقايا استيطان يغطي كامل الألف السابع ق.م تقريباً أي من ٧٠٠٠ إلى ٦٢٠٠/٦١٠٠ ق.م، بلغ ذروته في حوالي ٦٥٠٠ ق.م، حيث قدر حجم المستوطنة بحوالي أربع هكتارات، وبالرغم من صغر المساحة المنقبة من التل إلا أنها أعطت نتائج جيدة عن طبيعة الاستيطان في الألف السابع ق.م. عثر في المنطقة الجنوبية من التل على ستة طبقات أثرية، تؤرخ أقدمها على حوالي ٧٠٠٠ ق.م، وتشير نتائج التنقيبات الأثرية في تلك المنطقة إلى أن هذه المستوطنة النيوليتية تتبع نمط العمارة المستطيلة المألوف في منطقة المشرق العربي القديم خلال تلك الفترة، حيث عثر فيها على مباني مؤلفة من عدة غرف مستطيلة

الشكل، كانت أساساتها مدعمة بالحجر، وجدرانها مبنية من اللبن، أما أرضياتها فهي من الحجر الجيري الأبيض، كما عثر في هذه المنطقة على صناعات حجرية صوانية مشابهة تكنولوجياً وتيبولوجياً للصناعات الحجرية المعاصرة لها في منطقة المشرق العربي القديم، وعثر أيضاً على لقى فخارية وهذا ما اكسب الموقع أهمية استثنائية كونه يشكل أحد المواقع السورية النادرة التي قدمت دلائل مبكرة على معرفة السيراميك، كما عثر على أواني كبيرة الحجم يصل طولها إلى ٨٠ سم ربما كانت تستخدم لتخزين المواد الغذائية ذات الأصل النباتي، وعثر في هذه المنطقة أيضاً على لقى مميزة تقدم لنا فكرة جيدة عن حياتهم الرمزية، وكان من أهمها التماثيل الإنسانية التي تمثل الربة الأم والتي ترمز من وجهة نظر معظم الباحثين إلى عبادة الإلهة الأم، كما عبر سكان هذه المستوطنة عن حياتهم الرمزية من خلال الدفن حيث عثر تحت أرضيات أو تحت جدران مباني هذه المنطقة وفيما بينها على العديد من القبور التي تضم رفاة رضّع وأطفالاً بلغوا الثانية من العمر، وتشير الدراسة التي أجريت على تلك العظام أن الكثير من الموتى كانوا يعانون من أمراض العوز [عوز الفيتامينات] مثل مرض الأسقربوط، وعلى الأرجح أن أحد المباني المكتشفة في تلك المنطقة

استخدم للدفن لمدة طويلة لذلك أطلق عليه اسم بيت الموتى، حيث عثر تحت أرضيته على أقدم القبور في اثنين من الحفر المتجاورة في إحدى زوايا الغرفة، وتضم هذه القبور رفاة ذكر شاب ورجل مسن كان يحمل طفلاً بين ذراعيه.

وبالإضافة إلى تلك اللقى المتعلقة بالحياة الرمزية، فقد عثر في هذه المنطقة على بعض الحلي، والأختام، ومواد نادرة وثمينة مثل الأوبسيديان والعقيق والتركواز والصدف البحري وهي مواد غريبة عن المنطقة تم استيرادها من مناطق بعيدة مثل الأناضول والبحر المتوسط والبحر الأحمر. أما بالنسبة للمنطقة المركزية فقد عثر فيها على بقايا استيطان يعود لفترة حديثة تؤرخ على النصف الثاني من الألف السابع ق. م وهو عبارة عن بيوت متباينة لا تتبع أي نمط من ناحية تنظيمها، وهي مؤلفة من غرفة واحدة أو عدة غرف أو غرف صغيرة [خلايا]، وعثر ضمن هذه المباني على مطاحن مصنوعة من الحجر الجيري، وعثر أيضاً على أواني فخارية، وبقيت هذه المنطقة مُستوطنة حتى ٦٢٠٠/٦١٠٠ ق.م ثم هجرت بعد ذلك.

كما عثر في المنطقة الشمالية الشرقية على بقايا استيطان يعود لفترة حديثة تؤرخ على النصف الثاني من الألف السابع ق. م، وهي عبارة عن مبنيين متفردين من ناحية الشكل والحجم عن بقية المباني الأخرى في المستوطنة. ويتمتع كلا المبنيين بمخطط مستطيل طولاني مع صفين من الغرف الصغيرة الحجم نسبياً أو الخلايا الصغيرة على التوالي. وبني كلا المبنيين في حوالي ٦٣٠٠ ق. م وفيما بعد تم الربط بينهما عن طريق مبنى على شكر حرف U. وتشير الدراسات التي أجريت على هذين المبنيين أن هناك احتمالية لوجود طابق ثاني، وأن الطوابق الأرضية قد تم الوصول إليها عن طريق فتحات في السقف تسمح بالدخول إليها عن طريق سلالم تقود إلى داخل المبنى من الطابق العلوي، أما بالنسبة لاستخدام هذين المبنيين فنلاحظ أن هناك عدة احتمالات، حيث يمكن الاستنتاج من خلال الخلايا الموجودة في الطابق الأرضي من المبنى الشرقي أنها كانت تستخدم لتخزين المواد الغذائية النباتية، بينما تشير الأرضية المحفوظة في المبنى الغربي إلى أن هذا المبنى استخدم بغرض السكن، ومن الواضح أنه استخدم في نفس الوقت لتخزين الأطعمة النباتية ويتضح ذلك من خلال العثور على هيكل طيني على شكل حوض داخل إحدى غرفه، ومن

المحتمل أن هذا المجمع المميز قد بني كبيت للسكن أو للتخزين من قبل مجموعة أو أفراد يحتلون مرتبة اجتماعية منفصلة عن باقي أفراد المجتمع، أو أنه من ناحية أخرى استخدم كمخزن جماعي أو منزل لاجتماع المجتمع المحلي، وبقيت هذه المنطقة مُستوطنة حتى ٦١٠٠/٦٢٠٠ ق.م ثم هجرت بعد ذلك.

تل حالولة: يقع تل حالولة في وادي الفرات الأوسط، كشف فيه أثناء التنقيبات التي تم القيام بها بين عامي ١٩٩١م و ٢٠١١م عن بقايا استيطان مهم يغطي الفترة الممتدة من النيوليت ما قبل الفخار B الأوسط إلى عصر حلف، وتؤرخ القرية العائدة لعصر النيوليت الفخاري التي يطلق عليها أحياناً مرحلة ما قبل حلف على نحو ٦٩٠٠ إلى ٦٢٠٠ ق.م، ويشير توزع الأبنية في هذه القرية إلى وجود نمط إنشاء مبعثر للمساكن على التل، حيث كانت البيوت مفصولة عن بعضها بمساحات واسعة مفتوحة تحتوي على منشآت احتراق وأيضاً هناك أدلة واضحة على الاستخدام المنزلي لتلك الأجزاء، كما يلاحظ وجود منشآت ضخمة تُظهر وجود تجهيزات مبنية ذات وظيفة جماعية مشتركة في الأجزاء الشرقية والغربية من التل، كما عثر في هذه المستوطنة أيضاً على جدار ضخم يعود لسور يحيط بالمستوطنة

القروية في الجزء الشرقي، تتصل به مساحات مفتوحة مجهزة بأرضية ترابية وغالباً بقنوات للمياه، وقد فسرت تلك القنوات في البداية على أنها كانت تستخدم لتصريف المياه، ولكن إعادة النظر في المعطيات ترجح إمكانية استخدامها في تخزين المياه أي ارتباطها على الأرجح بنظام تخزين، أما بالنسبة لبيوت السكن فقد احتوت تلك المستوطنة على نمطين منها، الأول هو البيوت ذات المخطط المستطيل الشكل أو المربع الذي يتبع تقاليد العصر السابق، واستعمل في تشييدها خليط من الحجارة واللبن في جدرانها، كما استخدم الكلس بطريقة متقطعة لطلاء بعض أرضيات وجدران الحجرات، وكانت تلك البيوت تحتوي على حجرات متجاورة صغيرة الأبعاد وفيها تجهيزات منزلية مثل الأفران والمواقد. أما بالنسبة للنمط الثاني من البيوت السكنية فكان عبارة عن مباني دائرية مخططاتها بسيطة وأبعادها متوسطة مشابهة للبيوت المعروفة باسم تولوس التي اشتهرت بها ثقافة حلف، وبنيت هذه البيوت بنفس الطريقة التي بنيت فيها بيوت النمط الأول أي جدران من الحجارة وطلاء من الكلس، وقد ظهر هذا النمط من البيوت في المرحلة الحديثة من حياة هذه المستوطنة.

تل الكرخ: يقع في سهل الروج في محافظة إدلب، اكتشف فيه أقدم أنواع الفخار في شمال الشرق القديم، ويتميز هذا الفخار بالآنية التي يطلق عليها اسم آنية الكرخ، وتعتبر هذه الآنية الأصل لجميع الأواني الفخارية المصقولة ذات اللون الداكن التي أصبحت سائدة في الألف السابع وبداية الألف السادس ق.م في شمال الشرق القديم. بلغت مساحة القرية خلال عصر النيوليت الفخاري نحو ثمانية هكتارات، وهي أصغر حجما مما كانت عليه في السابق، وتحتوي على عدة أنماط من البيوت، بيوت أحادية الغرف ذات مخطط مربع، وبيوت متعددة الغرف ذات مخطط مستطيل، ومن أبرز تلك البيوت كان بيت مؤلف من طابقين، يتألف الطابق الأرضي أو (طبقة الأساس) من شبكة من غرف التخزين كانت سقوفها مغطاة بالأخشاب والحصى والجص. أما الطابق الثاني فكان عبارة عن غرفة كبيرة مفتوحة غير مقسّمة، ويبدو من خلال التركيز على السقف والأرضية أن هذا العمل على الأرجح قد أنجز من أجل التهوية أو لأغراض تخزينية. ويبدو أن بعض الأبنية قد بنيت لأغراض محددة ومثال على ذلك البناء (str-837) الذي عثر فيه على أكثر من ست عشرة قطعة حجرية مصنعة تستخدم لتحضير الطعام مثل المهارس والرحى والمطاحن والمدقات الحجرية أو

الهوانات، بالإضافة إلى العديد من أدوات الطهي وهذا يدل على الأرجح أن البناء كان يستخدم كمطبخ جماعي. وبالإضافة لما سبق فقد عثر في هذه المستوطنة على مقبرة جماعية تؤرخ على نحو ٦٤٠٠ إلى ٦١٠٠ ق. م، احتوت على أكثر من ٢٤٠ هيكل عظمي إنساني في الحيز الشاغر ضمن مساحة تقدر بنحو ٣٠٠ م^{٢} من المستوطنة. كما عثر أيضاً ضمن هذه المستوطنة على الكثير من اللقى الأثرية كان من أهمها الأختام، حيث عثر فيها على ١٤٠ ختماً وستة طبعات أختام طينية، وكانت تلك الأختام صغيرة الحجم، ويتم استخدامها لحماية ملكية الأفراد من الدخلاء الغرباء، وعثر على بعضها ضمن القبور مما يشير على الأرجح إلى أنها استخدمت أيضاً لحماية الشخص من الأرواح الشريرة.

تل صبي أبيض: يقع على بعد ٨٠ كم إلى الشمال من مدينة الرقة ضمن حوض نهر البليخ، وتم تنقيبه على نطاق واسع بين عامي ١٩٨٦ و ٢٠١٠م من قبل فريق من جامعة لايدن الهولندية، وكشف فيه عن بقايا استيطان متواصل يغطي الفترة الممتدة من نهاية النيوليت ما قبل الفخار حتى عصر حلف، وبموجب نتائج التأريخ الحديث بالكربون المشع التي تم القيام بها على ١٤٥ عينة من الموقع فإن سويات ما قبل التاريخ فيه تؤرخ على نحو

٧١٠٠–٥٥٠٠ ق.م، حيث كشفت التنقيبات عن أبنية معمارية فريدة تعود للعصر الحجري الحديث، وفخار قديم، ومجموعة من الأختام وطبعاتها، ومقابر نيوليتية استخدمت على نطاق واسع تضم رفاة العديد من الموتى من رجال ونساء وأطفال. وتتميز السويات الباكرة بوجود منازل مستطيلة الشكل متعددة الغرف، جدرانها الداخلية مطلية بالجص الأبيض ومبنية بواسطة ألواح طينية كبيرة تصل إلى ١،٢م، وأبوبها منخفضة وضيقة. وكانت الأفران والمواقد وأحواض التخزين المصنوعة من الجص الأبيض موجودة داخل المباني، وغالباً ما كانت توجد في الساحات حول المباني، ويلاحظ وجود مصاطب اصطناعية أو منصّات يتراوح قياسها من ٦–٧م وارتفاعها ١م إن أهم ما يميز هذا الموقع هو الفخار القديم الذي يعتبر أقدم فخار في سورية، ويؤرخ على نحو ٧٠٠٠ إلى ٦٩٠٠ ق.م، وهو فخار مكون من مزيح معدني، ملون أحياناً ومن الميزات الهامة لهذا الموقع أيضاً أنه يمثل انتقال فريد من نوعه بين عصر النيوليت الفخاري وثقافة حلف، حيث حدث في نحو ٦٢٠٠ ق.م تغير مهم في مجتمع تل الصبي الأبيض، وهذا ما يبدو جلياً من خلال ظهور أنواع جديدة من المباني تتضمن مخازن واسعة ومباني صغيرة دائرية الشكل تولوس، كما تطورت صناعة الفخار

وأصبحت الأواني مزينة، وتوحي وفرة المغازل الطينية بتغيرات في صناعة النسيج، وبالإضافة إلى ذلك فإن ظهور الأختام يعد إشارة للملكية، وتم الحصول على أفضل المعلومات من القرية المحترقة التي دمرت بفعل حريق ضخم حوالي ٦٠٠٠ ق.م، حيث اكتشفت العديد من المواد ضمن المباني المحترقة تتضمن فخاراً، وأواني حجرية، وأدوات حجرية صوانيه وأخرى مصنوعة من الأوبسيديان، وتماثيل، وحلي شخصية، ومئات الأختام الطينية وطبعات الأختام. ويتكون وسط القرية المحترقة من سلسلة من المباني المستطيلة المنتظمة الهيكل التي تم تفسيرها على أنها استخدمت كصوامع للتخزين أو مخازن، كانت غالباً مقسمة إلى ثلاثة أجنحة يتألف كل جناح من ١٥ حجرة صغيرة جداً أو أكثر، وتراوحت أبعاد كل حجرة بشكل وسطي بين ٢–٥ متر مربع. وقد استخدمت معظم البيوت المسماة تولوس لفترة من الزمن ثم تم استبدالها. وعثر في الموقع ضمن سوية حلف الباكر على مبنى وحيد مستطيل ذو مظهر ضخم بشكل بارز يقع في قمة التل مع شرفة ذات جدران حجرية وبجانبه تولوس بمستوى أخفض يقع في منحدر التل، وكان للمبنى مدخل بدرجات وواجهة جصية بيضاء، ويحتوي كوات ومقاعد على أساسات حجرية، ومن المحتمل أنه يضم طابق

علوي، ومن المحتمل أيضاً أن المبنى بغرفه العشرين الصغيرة كان بمثابة صومعة جماعية للتخزين أو مبنى للتخزين. وبالإضافة إلى الاكتشافات الهامة سابقة الذكر فقد عثر في هذا الموقع على مئات من القبور تعود لرجال ونساء وأطفال، وقد تم تأريخها بواسطة الكربون المشع على نحو ٦٤٠٠ إلى ٥٨٠٠ ق.م. وأظهرت الدراسة الدقيقة للطبقات الأثرية وكذلك نتائج التأريخ بالكربون المشع بأن هناك على الأقل سبع مقابر في الموقع أقيمت واحدة تلو الأخرى على مر القرون. لقد دفن سكان تلك المستوطنة موتاهم بعدة وضعيات من أهمها الدفن بشكل مثني على أحد الجانبين في حفر بسيطة يصل عمقها إلى ١ م، وكانت تلك المقابر غنية بالمرفقات الجنائزية مثل الفخار والحلي وغيرها، وكان الدفن الأولي الفردي هو الأكثر شيوعاً في المقابر، كما تم توثيق حالات دفن ثانوي وحالات دفن جماعي ضمن المقابر، وتم أيضاً توثيق العديد من الأمراض مثل تسوس الأسنان وفقر الدم واضطرابات النمو ومن المحتمل أيضاً الأمراض الوبائية.

تل أسود: يقع في الجزيرة السورية على بعد حوالي ٨٠ كم شمال مدينة الرقة و٢٠ كم جنوب تل أبيض على الضفة اليسرى لفرع جانبي من نهر البليخ يدعى نهر التركمان. تم توثيق

الظهور الأقدم للفخار في هذا الموقع من خلال السويتين ٨ و ٧ اللتان تعتبران على الأرجح الأقدم في صناعة الفخار في وادي الفرات، حيث كان نصف الفخار ملمع وغير مزخرف، وكانت الأواني ذات جسم دائري وقعر مسطح ومن دون شفة، أما النصف الثاني فكان غير ملمع وتبلغ سماكة جدرانه نحو ١-١،٥سم، وتتميز هاتين الطبقتين أيضاً بالصناعات الحجرية التي كانت مؤلفة من أدوات صوانية مثل رؤوس سهام من نمط جبيل وكسر من مناجل ومخارز ونصال وأدوات هلالية وأدوات مثلثية الشكل، وكذلك أدوات مصنوعة من الأوبسيديان مثل النصال والأزاميل، بالإضافة إلى بلطات من الحجر الأخضر.

تل سكر الأحيمر: يقع في حوض نهر الخابور، تم اكتشافه في عام ١٩٩١م، وتم تنقيبه من قبل بعثة أثرية من جامعة طوكيو لمدة أحد عشر موسماً بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠١٠م، وعثر فيه على استيطان يغطي عصر النيوليت ما قبل الفخار B وعصر النيوليت الفخاري أي حتى ٦٥٠٠ ق.م. يتميز عصر النيوليت الفخاري في هذا الموقع بفخاره الذي يعتبر الفخار الأقدم من العصر الحجري الحديث في بلاد الرافدين العليا، حيث تشير نتائج أعمال التنقيب إلى أن عصر النيوليت الفخاري في هذا الموقع يؤرخ إلى ما قبل طلائع حسونة

الموجود في حوض الخابور، الذي يتصف بمجموعة مختلفة من الفخار فضلاً عن العمارة والتكنولوجيا الحجرية، وأظهر التسلسل الطويل المستمر في التل أن هذا الكيان الثقافي أي ما قبل حسونة اشتق من الـ PPNB المحلي في الجناح الشرقي للهلال الخصيب وتطور تدريجياً ضمن طلائع حسونة.

العمق A و B: تم توثيق عصر النيوليت الفخاري في سهل العمق[تل الجديدية] من خلال المرحلتين التي يطلق عليهما اسم العمق A و B حيث كان فخار مرحلة العمق A مصنوع باليد وهو من النوع القاتم والمصقول، وعلى سطحه صبغة رمادية إلى بنية وأحياناً يميل إلى الأصفر والأحمر أو البني، وكان هذا الفخار مزين بطبعات الأظافر أو بأشكال نقطية بل وحتى بصلصال مضاف على شكل جدائل، وبقي هذا النوع من الأواني الفخارية القاتمة والمصقولة مسيطراً طيلة عصر النيوليت الفخاري تقريباً، كما انتشرت إلى جانبها، ولكن بدرجة أقل، أنواع أخرى من الفخار البسيط أو المصبوغ باللون الأحمر وعليه زخارف نادرة معظمها طبقات مختلفة الأشكال. وتعد الجرار والكؤوس والأباريق من أهم الأواني المميزة لهذه المرحلة، كما اشتهرت هذه المرحلة أيضاً بتصنيع نوع جديد من السهام الحجرية يعرف

بنبال العمق وهي ذات شكل بيضوي ومشذبة بعناية كلياً أو جزئياً أما بالنسبة لمرحلة العمق B فقد حدث فيها تغيير كبير في مجال صناعة الفخار حيث اتسع استخدامه وتعددت أشكاله، ولكن تناقص دور النوع الغامق المصقول لمصلحة الفخار الملون بلون واحد، بني إلى أحمر على خلفية برتقالية.

رأس الشمرا: تم توثيق مرحلة النيوليت الفخاري في هذا الموقع من خلال السويتين b V و a V حيث تتشابه السوية b V مع مرحلة العمق A، بينما تتشابه السوية a V مع مرحلة العمق B، وتتميز السوية b V بعمارتها المربعة المبنية من الحجر، وبالاهتمام الكبير بالزراعة والتدجين، وتتميز أيضاً بفخارها المعروف بالفخار القاتم المصقول الذي يشكل نحو ٩٣ % من الفخار، أما بالنسبة لصناعاتها الحجرية فتتميز بالاعتماد على النصال والرقائق كدعائم لتصنيع المقاشط والأزاميل والمناجل ورؤوس السهام من نمط جبيل والعمق. أما بالنسبة للسوية a V فتتميز بالبيوت المربعة التي كانت أرضياتها ملساء، وأساساتها من الحجارة الصغيرة، وكانت تحتوي على مواقد في داخلها، كما تتميز هذه السوية بفخارها المعروف بالفخار القاتم المصقول الذي يشكل نحو ٧٢ % من الفخار، ونلاحظ حضور

للأواني البيضاء في هذه السوية، ونلاحظ أيضاً استمرار الاعتماد على الأدوات الحجرية وبشكل خاص المخارز ورؤوس النبال ومناجل الحصاد.

ثانياً: الثقافة اليرموكية

سميت هذه الثقافة باليرموكية نسبةً إلى وادي اليرموك حيث عثر على الآثار الأولى لهذه الثقافة في موقع القحوانة

الإطارين الكرونولوجي والجغرافي: تعود هذه الثقافة لعصر النيوليت الفخاري، وتؤرخ على نحو ٦٥٠٠ إلى ٥٨٠٠ ق.م. وتنتشر المواقع الأثرية العائدة لها بشكل حصري في المشرق الجنوبي، وخاصة في وادي الأردن والمناطق الجبلية المجاورة، ومن أهم تلك المواقع موقع القحوانة، ومنحطة، وتل الزهور، وعين رحيب، وأبو صوان، وعين غزال، ووادي شعيب، ووادي فينان وموقع قراصة.

نمط الحياة: عاش اليرموكيون في قرى مؤلفة من بيوت مستطيلة أو دائرية تفصل بينها شوارع وساحات، وكانت تلك البيوت مزودة بمواقد وتنانير ومخازن ومشاغل واعتمدوا في

معيشتهم على الزراعة والتدجين، حيث زرعوا حبوب القمح والشعير والبقول بأنواعها، ودجنوا الغنم والماعز والبقر والخنازير والحمير، كما اعتمدوا بشكل ثانوي على الصيد والالتقاط

الصناعات: صنع اليرموكيون الأواني الفخارية المزخرفة بزخارف حيوانية ونباتية وهندسية جميلة، وكان بعضها مزخرف بزخرفة غائرة تأخذ شكل عظام ظهر السمكة بين خطين محفورين متوازيين، ومن بين تلك الأواني نجد الصحون والأباريق والجرار وأواني التخزين وبالإضافة إلى ذلك فقد صنع اليرموكيون الأدوات الحجرية وخاصة السكاكين ، ورؤوس السهام من نمط بيبلوس والعمق، والأدوات البازلتية كالرحى والأجران والمدقات المستخدمة لتحضير الحبوب كما صنعوا الأدوات العظمية مثل المخارز والإبر التي استخدموها في صناعة الجلود. وتشير نتائج أعمال البحث والتنقيب في المواقع الأثرية العائدة لهذه الثقافة إلى أنها تطورت على ثلاثة مراحل، حيث أقام الناس في المرحلة الأولى في بيوت بسيطة، وعرفوا الفنون التشكيلية وبخاصة التماثيل الأنثوية التي ترمز لعبادة الإلهة الأم، واستخدموا الأواني الفخارية البسيطة والخشنة. وفي المرحلة الثانية أصبحت الأواني الفخارية أفضل

صنعاً وأكثر تنوعاً وبعضها ملون ومزخرف، وظهرت فيها تأثيرات موقع جبيل اللبناني. أما في المرحلة الثالثة فقد غدت البيوت اليرموكية أكبر حجماً وأكثر تنظيماً.

الحياة الرمزية: تميز اليرموكيون بحياتهم الرمزية الخاصة التي عبروا عنها من خلال صناعة الدمى الحصوية والطينية التي تشير إلى عقيدة الخصب والربة الأم، وعبروا عنها أيضاً من خلال عادات الدفن، حيث عثر في موقع القحوانة على أكبر مجموعة من الدمى الحصوية والطينية في فترة النيوليت الفخاري الباكر، وقد بلغ عدد الدمى الحصوية ١٠٦ دمى، وكانت جميعها بدون أية ملامح جنسية ما عدا دمية واحدة كان ثدياها المتهدلان مرسومان على الحصاة، كما كانت تلك الدمى رمزية ومختزلة ومقتصرة على الشكل العام للحصى وبعض الحزوز للدلالة على الوجه وتفصيلاته، واستخدم في تشكيل تلك الدمى نوع محدد من الحصى الكلسية النهرية، ولم تستخدم الحصى الأخرى المتواجدة في المنطقة، وهذا يدل على أن نوع الحصى كان مهماً ضمن المعايير التي وضعها الفنان في تلك الفترة، التي تضمن له الغاية التي صنعت من أجلها الدمى. أما الدمى الطينية فكانت أقل عدد من دمى الحصى، حيث بلغ عددها ٥٣ دمية، واحتوت على الكثير من التفاصيل المشتركة ومنها

الرأس المتطاول إلى الخلف أو المتطاول للأعلى والعيون التي أطلق عليها لقب عيون القمح، وكانت تلك الدمى بمجملها أنثوية بدلالة الأثداء والمؤخرة الكبيرة مع ملاحظة أن هذه الأثداء كانت صغيرة ودوماً مترافقة مع اليد اليسرى تحت الثدي الأيسر كما توحي هذه الدمى أيضاً أنها كانت ترتدي رداء ما وكانت تفاصيله واضحة أحياناً على الدمى. وبالإضافة إلى ذلك فقد صنع اليرموكيون بعض الدمى الحيوانية أما بالنسبة لتقاليد الدفن عند اليرموكيين، فقد عثر في موقع القحوانة على مدفن يحتوي على هيكل عظمي بشري ممدد على ظهره بوضعية القرفصاء تحت أرضية أحد البيوت، ووجدت مع الهيكل مرفقات جنائزية وضعت بجانبه وتحته وتشمل أنواعاً مختلفة من الأدوات الصوانية وكسر عظمية حيوانية وحصى نهرية وأدوات عظمية محززة وتمثال مكسور. وفي موقع وادي أبو شعيب عثر على مدفنين، الأول لطفل عمره ١٨ شهر دفن في وضعية القرفصاء في الزاوية الجنوبية الغربية تحت أرضية أحد البيوت، وكان محاطاً بالحجارة المبنية بشكل دائري. أما الثاني فيبدو أنه استخدم أكثر من مرة، وجاءت العظام الطويلة مرتبة بشكل متوازي بجانب بعضها البعض، وباتجاه

شمال–جنوب، ويعتقد بأن تلك العظام تخص شخصاً بالغاً، ولم يعثر على أية كسرة من عظام جمجمة هذا الشخص، ولكن وجد تحت العظام فك لحيوان

ثالثاً: ثقافة جبيل–بيبلوس [المرحلة القديمة–النيوليت القديم في جبيل]

مدينة جبيل أو بيبلوس، وهي مركز قضاء جبيل في محافظة جبل لبنان، تقع على بعد نحو ٣٧ كم إلى الشمال من مدينة بيروت، وتعتبر من أقدم المدن المأهولة في العالم، وترقى بداية الاستيطان فيها إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت تمثل خلال تلك الفترة قرية نيوليتية تعود أقدم طبقاتها لنحو ٦٩٠٠ سنة ق.م. وتأتي أهمية هذا الوقع من كونه يمثل العمود الفقري للعصرين الحجريين الحديث والنحاسي في لبنان، حيث يضم استيطان مستمر يغطي الفترة المؤرخة على نحو ٦٩٠٠ إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م، وبناء على البقايا المعمارية والصناعات الفخارية والحجرية قام دينياند بتقسيم تلك الفترة إلى ثلاثة مراحل تطورية.

مرحلة النيوليت القديم في جبيل: تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٦٩٠٠ إلى ٥٨٠٠ سنة ق.م، وهي ممثلة بشكل جيد من خلال القرية النيوليتية القديمة في جبيل التي تزامن تشيدها مع تشييد قرى عصر النيوليت الفخاري في بقية مناطق المشرق العربي القديم مثل تل

الجديدة في سهل العمق المرحلتين A و B ورأس شمرا على الساحل السوري، وتل الرماد في حوض دمشق، وقرى الثقافة اليرموكية في فلسطين والأردن وكذلك مستوطنات عصر النيوليت الفخاري في الأناضول مثل هاشيلار وشاتال هويوك.

يتألف موقع جبيل القديم من تلين وهما التل المرتفع والتل المنخفض، شيدت القرية النيوليتية العائدة لهذه المرحلة على سفح التل المرتفع، وهي قرية صغيرة لا تتجاوز مساحتها النصف هكتار، وهي مؤلفة من بيوت مبنية وفقاً لنمط العمارة المربعة أو المستطيلة، ولم تكن تلك البيوت تحتوي إلا على حجرة واحدة فقط، أساساتها وجدرانها من الحجر وأرضيتها مطلية بالكلس، وحجمها صغيرة جداً، بحيث لم تتجاوز أبعاد أكبرها ٤ X٥،٥م، أما أصغرها فكانت أبعادة ٤،٥ X٢،٧٥م.

أعتمد سكان تلك المستوطنة النيوليتية في معيشتهم على الزراعة والتدجين، حيث زرعوا بشكل أساسي القمح والشعير، وقاموا بتدجين عدة أنواع من الحيوانات مثل الغنم والماعز والخنزير والأبقار، كما اعتمدوا أيضاً على الصيد البري والبحري، وكذلك على جمع والتقاط بعض أنواع النباتات وثمار الفاكهة البرية.

أما بالنسبة لصناعاتهم فقد اشتهر سكان تلك القرية بصناعة الفخاروالأدوات الحجرية، بالإضافة لمعرفتهم بالحياكة والنسيج وهذا ما يبدو جلياً من خلال وجود المغازل، وكذلك معرفتهم للصناعات الجلدية التي دلت عليها الأدوات العظمية مثل الإبر والمثاقب، كما استخدموا أيضاً مادة العظم لتصنيع أدوات الصيد البحري وبخاصة سنارة الصيد

تميز فخار جبيل النيوليتي بحوافه المصقولة وبلونه الوردي والأصفر الضارب إلى الحمرة والبرتقالي والأصفر الشاحب، وبزخارفه التي كانت مشكلة بطبعات القواقع [القلوب، الكارديوم]، أما بالنسبة للنوعية الأخرى من الفخار التي تعرف بالفخار القاتم المصقول فقد عثر عليها بكميات قليلة جداً في جبيل

وبالنسبة لصناعاتهم الحجرية الصوانية فقد بلغت ذروتها في هذه المرحلة حيث صنع سكان تلك المستوطنة نوع خاص من النبال يطلق عليه أسم نبال جبيل أو نبال بيبلوس وتمثل هذه النبال السلاح الأساسي للصيد لديهم، كما صنعوا أيضاً الخناجر المميزة والسكاكين ونصلات المناجل التي كانت من أهم الأدوات الحجرية في تلك القرية

أما بالنسبة لحياتهم الرمزية فقد تم التعرف عليها بشكل أساسي من خلال ممارسات الدفن والمرفقات الجنائزية وكذلك الفنون، حيث أعتاد سكان تلك المستوطنة على دفن موتاهم بجوار بيوتهم، وقد أثمرت أعمال التنقيب في تلك القرية في تمييز ثلاثة أنواع من القبور: النوع الأول وهو القبور الترابية التي كانت تحظى بالأغلبية حيث عثر على ٢١ قبر منها في تلك القرية، ولكن لم يعثر فيها على مرفقات جنائزية، أما النوع الثاني فتمثله القبور الحجرية التي عثر على سبعة قبور منها في القرية وكانت تلك القبور غنية بالمرفقات الجنائزية حيث كان يوضع مع المتوفى أسلحته مثل الخناجر والبلطات البازلتية، أما بالنسبة للنوع الثالث فكان عبارة عن دفن مخصص للأطفال في جرار مصنوعة من الفخار المشوي، عثر على خمسة نماذج منها، حيث كانت تلك الجرار مزخرفة بالحز أو بطبعات القواقع [القلوب، الكارديوم]، وفيما يخص وضعية الدفن في النوعين الأول والثاني من القبور فكانت الجثة توضع في وضعية مثنية.

كما عبر سكان تلك المستوطنة النيوليتية عن حياتهم الرمزية من خلال الفنون، حيث اشتهروا بثلاثة أنواع من الدمى الإنسانية، النوع الأول وهو عبارة عن دمى حجرية مصنوعة

من الحجر الأخضر المصقول تمثل الربة الأم رمز الخصوبة والزراعة والإنجاب، وقد مثلت تلك الدمى بشكل مختزل، ولكن واضح، وفي وضعية القرفصاء، كما حرص الفنانون على إبراز الصدر والأرداف. أما النوع الثاني فتمثله الدمى الطينية، وأخيراً فإن النوع الثالث هو عبارة عن دمى تمثل أشكال مختزلة منفّذة على حصى حجرية.

العصر الحجري النحاسي في بلاد الشام

يؤرخ هذا العصر في سورية على نحو ٦٠٠٠ إلى ٣٢٠٠ سنة ق.م, ويطلق عليه اسم الكالكوليت, وهي في الأصل تسمية يونانية من (Chalcos) أي نحاس و (Lithos) أي حجر, وهو يعدّ آخر عصور ما قبل التاريخ، وقد برزت خلاله عدة ثقافات هي: ثقافة حسونة وسامراء وحلف وعبيد والوركاء, وحدثت خلاله عدة تطورات, وهي بدون أدنى شك حصيلة معارف اكتسبها الإنسان تدريجياً خلال العصرين السابقين, ومن أبرزها تلك التطورات دخول معدن النحاس في إطار النشاط الصناعي, وابتكر دولاب الفخار البطيء ثم السريع, وظهور الأختام الأسطوانية, وزيادة الإنتاج الزراعي والصناعي, وبروز التبادل التجاري وفقاً لنظام المقايضة بين المستوطنات, والاتجاه إلى التخصص في الإنتاج, وبروز السلطة الدينية التي أصبحت تشرف على مختلف جوانب النشاط الاجتماعي والاقتصادي لتلك المجتمعات. وفضلاً عن ذلك اتسعت مساحة القرى تدريجياً خلال هذا العصر, ثم ظهرت المدن الأولى. وقد أدت تلك التطورات مجتمعة إلى ظهور الكتابة التي تعدّ ذروة

عطاء إنسان ما قبل التاريخ, والحد الفاصل ما بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية.

أولاً: ثقافة حسونة

سميت هذه الثقافة بثقافة حسونة نسبة إلى موقع تل حسونة الذي يقع على بعد ٣٥ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الموصل في منطقة جبل سنجار في شمالي العراق وهو تل أثري تبلغ أبعاده ٢٠٠×١٥٠م وارتفاعه ٧م. تم تنقيب هذا الموقع في أربعينيات القرن الماضي من قبل كل من فؤاد سفر وسيتون للويد

الإطارين الكرونولوجي والجغرافي: تعود هذه الثقافة إلى العصر الحجري النحاسي [الكالكوليت]، وهي تمثل مجتمعات قروية زراعية عاشت خلال الفترة الممتدة من 5500 إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م في القسم الأوسط من شمال بلاد الرافدين وبالتحديد في المنطقة الممتدة من جبل سنجار في الغرب حتى الزاب الأصغر شرقاً والزاب الأكبر جنوباً، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها موقع تل حسونة [الموقع الأم لهذه الثقافة] وموقع ياريم تبة، وكول تبة، وأم

الدباعية، وتل سوتو، كما عثر على أثار هذه الثقافة أيضاً في سورية ومثال على ذلك موقع تل كشكشوك ٢ وموقع تل سكر الأحيمر

العمارة: عاش أصحاب هذه الثقافة في قرى منظمة تتألف من بيوت مبنية من الطين وطليت أرضياتها بالملاط، وكانت هذه البيوت في بداية الأمر صغيرة مربعة أو مستطيلة الشكل، ثم طوروها في المرحلة اللاحقة لتصبح أقوى وأكبر، تدعمها العضائد، ويتألف معظمها من عدة غرف تلتف حول ساحة، وتحتوي هذه البيوت أيضاً على مخازن للحبوب ومواقد كانت تستخدم للتدفئة وللطهي. كما عثر في موقع تل حسونة على بناء كبير مستطيل تحيط به مجموعة ساحات مسورة، وقبور كثيرة، مما يشير إلى أنه كان يستخدم على الأرجح كمعبد، وعثر أيضاً في أرضية جدار أحد البيوت على تمثال إنسان من الألباتر وكشف أيضاً في هذا البيت عن حوالي ١٣٠ قبراً مما يدل على أن هذا البيت كان له على الأرجح وظيفة دينية

مصادر الغذاء: أعتمد سكان هذه القرى في معيشتهم بشكل أساسي على الزراعة والتدجين مع استمرار الاعتماد على الصيد ولكن بشكل ثانوي، حيث زرعوا القمح والشعير والذرة،

ودجنوا الغنم والماعز والخنزير، واصطادوا الغزلان والأبقار الوحشية وغيرها من الحيوانات الأخرى التي عاشت في بيئتهم

الصناعات: استمر سكان تلك القرى في تصنيع الأدوات الحجرية من حجر الصوان والأبسيديان ولكن أصبحت هنا قليلة جداً وتراجعت صناعتها بشكل تدريجي ليأخذ الفخار الدور الأبرز خلال هذه المرحلة، حيث صنعوا الأواني الفخارية المتنوعة التي حرقوها ولأول مرة في أفران كبيرة مؤلفة من طابقين، يستخدم الطابق الأدنى كموقد ويعلوه غرفة الأواني المحضرة للشي، وقد تطورت هذه الصناعة على ثلاث مراحل وهي باختصار:

المرحلة الباكرة: يتصف فخار حسونة المبكر بالخشونة، وتحتوي عجينته على الكثير من المركبات النباتية، سطوحه منعمة بشكل بسيط أو غير مصقولة، ويتدرج لونها من البني الغامق إلى البيج، وهو مشوي بدرجة حرارة منخفضة، وأغلبية الأواني غير مزخرفة، إلا أن بعضها مطلي ومزين بزخارف محززة وخطوط.

المرحلة العتيقة: يتميز فخار هذه المرحلة بزخارفه الملونة بالأحمر والأسود على خلفية بيج فاتح.

المرحلة النموذجية: يتميز فخار هذه المرحلة بزخارفه المحززة ذات الأشكال الهندسية [المثلثات] والحيوانية [حراشف السمك] الملونة بالبني والأحمر والبرتقالي فوق خلفية بيج فاتحة، ومن الأشكال المميزة لفخار هذه المرحلة الجرار الكبيرة الكروية الشكل ذات العنق القصير.

كما صنعوا أيضاً الأدوات العظمية، وعرفوا صناعة النسيج الذي دلت عليه الثقالات الحجرية والطينية التي تم اكتشافها في المواقع العائدة لهذه الثقافة، وعملوا من الكتل الطينية أحجار المقاليع التي استخدموها في الصيد، وحلت هذه الأحجار بشكل كامل بدل رؤوس النبال التي اختفت خلال هذه الثقافة

الدفن: دفن سكان تلك القرى موتاهم بعناية تحت أرضيات البيوت، ومارسوا أيضاً عادة دفن الأطفال في جرار فخارية واسعة الفوهة وكانوا السباقين في هذا النوع من الدفن، حيث عثر في الطبقة الثانية من موقع تل حسونة على إناء فخاري يحتوي على هيكلين عظميين لطفلين رضيعين توأم دفنا معاً ووضعت معهما طاسة فخارية.

الفنون: عثر في المواقع الأثرية العائد لهذه الثقافة على الكثير من الدمى وأدوات الزينة، وكانت هذه الدمى بشكل أساسي دمى نسائية صغيرة ترتدي معظمها قبعة وملابس متنوعة وهي ترمز من وجهة نظر معظم الباحثين إلى عبادة الخصب أو الإلهة الأم ، إن فكرة عبادة الإلهة الأم تعبر عن مدى التطور الفكري للإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ، حيث ارتبطت عبادتها في العصر الحجري القديم بالإنجاب، ثم تطورت عبادتها في العصر الحجري الحديث في المشرق العربي لترتبط بخصوبة الأرض والزراعة والإنجاب. كما عثر في المواقع العائدة لهذه الثقافة على الأختام الحجرية المسطحة التي تحمل نقوش هندسية، وترتبط هذه الأختام إلى حد كبير بتقدم التجارة، وتزايد الإنتاج الزراعي والحيواني والحرفي، والحاجة إلى تصدير البضائع ودمغها بأختام أصحابها بعد أن ظهرت الملكية الخاصة

ثانياً: ثقافة سامراء

سمية بثقافة سامراء أو سمارا نسبة إلى مدينة سامراء التاريخية حيث وجدت الأواني الفخارية العائدة لها في السويات الدنيا من هذه المدينة العربية الإسلامية التي تقع في العراق على الضفة الشرقية لنهر دجلة. وسامراء هي مدينة تاريخية كانت عاصمة للدولة العباسية بعد

بغداد، بناها المعتصم العباسي في سنة ٢٢١ هـ /٨٣٥م لتكون عاصمة لدولته، وبدأت التنقيبات الأثرية فيها بين عامي ١٩١١ و ١٩١٤م من قبل عالم الآثار الألماني إرنست هرتسفلد.

الإطارين الكرونولوجي والجغرافي: تعود هذه الثقافة للعصر الحجري النحاسي [الكالكوليت]، وتؤرخ على نحو ٥٦٠٠ إلى ٤٨٠٠ ق.م ، وهي ثقافة ذات انتشار واسع في شمال بلاد الرافدين، امتدت من الموصل شمالاً حتى بغداد جنوباً، ومن زاغروس شرقاً حتى الفرات الأوسط غرباً، ووصلت إلى تل باغوز في سورية، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها مدينة سامراء [الموقع الأم لهذه الثقافة]، وتل الصوان، وتل حسونة، وشمشارة وموقع شوغامامي في العراق، وموقع تل باغوز، وبويض ٢ وموقع شاغار بازار في الجزيرة السورية

العمارة: سكنت المجتمعات العائدة لهذه الثقافة في مستوطنات منظمة، كانت مؤلفة في المرحلة الباكرة من بيوت كبيرة من اللبن المكيف بالقوالب الخشبية التي ظهرت لأول مرة آنئذ، وطليت هذه البيوت بالملاط الأبيض، ودعمت جدرانها بالعضادات، ومثال على ذلك السويتين الأولى والثانية من موقع تل الصوان ، كما كشف في السوية الأولى من موقع تل

الصوان عن مبنيين كبيرين يمثلان أضخم منشآت ما بين النهرين في الألف السادس ق.م، حيث كان المبنى الأول يتألف من حوالي أربع عشرة غرفة، وكان الجزء الشرقي منه يمثل معبداً مؤلف من أربع غرف، اكتشفت في الغرفة الأخيرة مشكاة في الجدار لأغراض العبادة، كما كان ينتصب أمامها منحوتة من الألباتر للإلهة الأم، وعثر في إحدى الغرف على منحوتتين لنساء، وعثر أيضاً في المقابر التي تم اكتشافها تحت أرض المعبد على الكثير من المنحوتات لنساء وعدة منحوتات لرجال، وكان أغلب هذه الدمى من الألباتر الضارب إلى الصفرة. أما المبنى الثاني فكان أكبر حجماً من المبنى الأول ويحتوي على عدد أكبر من الغرف ويستدل من الدرج الذي تم اكتشافه أنه كان مؤلف من طابقين. وفي المرحلة اللاحقة أصبحت البيوت أصغر حجماً من السابق لكنها أفضل تنظيماً، استخدم فيها اللبن بشكل كامل، وكذلك أحيطت المستوطنة بسور دفاعي مدعم بالعضائد شكله مستطيل وسماكة جدرانه ٢،٥م وحفر في الأرض حتى عمق ثلاثة أمتار، ومثال على ذلك السوية A٣ من موقع تل الصوان كما كشف في موقع شوغامامي عن بقايا برج دفاعي كان ينتصب أمام مدخل المستوطنة

مصادر الغذاء: اعتمدت المجتمعات القروية العائدة لهذه الثقافة في معيشتها على الزراعة والتدجين، حيث زرعوا القمح والشعير، ومكنتهم معرفة السقاية من استنبات الكتان واستثمار مناطق كانت جرداء، كما دجنوا الغنم، والماعز، والبقر، والخنازير والكلاب، واعتمدوا على الصيد بشكل ثانوي، حيث اصطادوا الحمار الوحشي، والغزال، والثور البري والأسماك

الصناعات: صنع حرفيو هذه الثقافة في المرحلة الأولى الأواني الحجرية والفخارية والخشبية البسيطة، وكانت أكثر الأدوات انتشاراً المناجل والنصال والسكاكين، كما صنعوا أدوات الجرش والطحن والأجران والمدقات. أما في المرحلة الثانية فلم يستخدموا الأواني الحجرية بل طوروا الأواني الفخارية التي أصبحت نوعيتها جيدة وملونة ومزخرفة بأشكال هندسية وحيوانية غزيرة ومنوعة، كالصليب المعقوف الذي تحيط به طيور تحمل في مناقيرها أسماك وتسبح حولها أسماك أيضاً، وحيوانات جبلية كالماعز يدور بعضها خلف بعض، كما رسمت خطوط تشير ربما إلى مياه دجلة والفرات، وأشكال بشرية لنساء يرقصن بشعرهن المتطاير وبقربهن العقارب، وأشكال حيوانية لغزلان وطيور وأسماك . أما في المرحلة الثالثة فقد حصل تغير

مهم في صناعة الفخار، حيث اختفت الزخارف الطبيعية الرائعة وحلت مكانها أخرى هندسية متنوعة

الفنون: صنع فنانو هذه الثقافة الدمى النسائية من الطين الملون والألباتر، والمنزلة في بعض الأحيان عيونها وآذانها بأقراص حجرية مثل حبة القهوة، وتزين الأطواق الطينية أعناق بعضها، وعلى الرغم من تنوعها يمكننا القول أنه يوجد بعض السمات العامة التي تنطبق على معظمها، ومن أهمها أن القسم الأوسط من الجسد الممثل بالبطن والثديين والورك والأعضاء التناسلية دائما ممثل بشكل مفرط وترمز هذه الدمى من وجهة نظر معظم الباحثين إلى عبادة الخصب أو الإلهة الأم التي تُعبّر عن مدى التطور الفكري للإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ، حيث ارتبطت عبادتها في العصر الحجري القديم بالإنجاب، ثم تطورت عبادتها في العصر الحجري الحديث لترتبط بخصوبة الأرض والزراعة والإنجاب.

الدفن: اعتاد سكان القرى العائدة لهذه الثقافة على دفن موتاهم بوضعيات مثنية ومستلقية على الجانب الأيمن والرأس متجه نحو الشرق، كما مارسوا عادة لف الموتى بالحصر، وطلي أجسادهم بالمغرة الحمراء. وكانت قبورهم مزودة بالكثير من المرفقات الجنائزية مثل الخرز

والأطواق من الأحجار النادرة، والأواني الجميلة من الألباتر، والتماثيل الصغيرة الواقفة من الألباتر، ذات العيون المنزلة والرأس المغطى بقبعة من القار، وكانت معظم تلك الدمى نسائية، ويوجد بينها بعض الدمى لرجال

ثالثاً: ثقافة حلف

سميت هذه الثقافة بثقافة حلف نسبة إلى موقع تل حلف الأثري الواقع على نهر جرجب أحد روافد الخابور على بعد ٣ كم إلى الشرق من مدينة رأس العين في شمال شرق سورية

الإطارين الكرونولوجي والجغرافي: تعود هذه الثقافة للعصر الحجري النحاسي [الكالكوليت]، وتؤرخ على نحو ٦٢٠٠ إلى ٥٣٠٠ سنة ق.م، حيث ينسبها بعض الباحثين إلى العصر الحجري الحديث [النيوليت]، بينما يرى آخرون أنها تعود للعصر الحجري النحاسي [الكالكوليت] معتمدين على تجديداتهم في مجالات عديدة وبخاصة استخدام المعادن في التصنيع.

وتنتشر المواقع الأثرية العائدة لها على مساحات واسعة تمتد من شمال شرق بلاد الرافدين شرقاً حتى سواحل البحر المتوسط في الغرب، ومن الأناضول شمالاً حتى البقاع اللبناني جنوباً.

مصادر الغذاء: عاش الحلفيون في تلك المناطق على شكل مجتمعات قروية امتهنت الزراعة التي كانت تشكل مع التدجين المصدرين الأساسيين للعيش، حيث زرعوا القمح والشعير والقنب والكتان، ودجنوا الغنم والماعز والخنزير، كما اعتمدوا بشكل ثانوي على الصيد، واصطادوا بشكل أساسي الغزال والحمار الوحشي والثور البري.

الحياة الرمزية: اعتقد الحلفيون بعبادة الخصب المميزة للمزارعين والمرتبطة بشخصية الإلهة الأم، كما استمر دور الثور في معتقدات الحلفيين وهي عبادة موروثة من العصر الحجري الحديث، فصنعوا تماثيل [الربة الأم] رمزاً للخصوبة على شكل امرأة تزينها خطوط حمراء أو بنية وأقنعة، جالسة بأوضاع جنسية كالقرفصاء أو الولادة ترافقها أشكال مختلفة من الطين بعضها يمثل الأعضاء الذكرية. كما استمروا أيضاً بصناعة تماثيل الثور الذي كان يأخذ عندهم معنى رمزي.

الدفن: دفن الحلفيون موتاهم بعدة طرق، منها الدفن العادي في حفر عادية أو قبور مبنية، ووضعوا الجثث مثنية على جانبها، رأسها في أغلب الحالات متجه نحو الجنوب وترافقها أوان فخارية تحمل مشاهد زخرفية جميلة ذات مضمون ميثولوجي، كما دفنوا الجماجم فقط بعد فصلها عن الجسد، ومارسوا لأول مرة حرق الموتى.

الصناعات: صنع الحلفيون الأواني الفخارية، والأختام المسطحة من الحجر أو الفخار ونقشوا عليها زخارف هندسية متنوعة، كما صنعوا القلائد وأدوات الزينة من الأحجار النادر. ويعتبر موقع العربجية الواقع شمال نينوى الموقع الأمثل لتتبع مراحل تطور هذه الثقافة، حيث تمّ تتبع ثلاث مراحل تطورية للحلفيين وهي:

حلف الباكر: تؤرخ على نحو ٦٢٠٠ إلى ٦٠٠٠ ق.م، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها موقع العربجية في العراق وموقع كشكشوك ١ وموقع حالولة في سورية. عاش الحلفيون خلال هذه المرحلة في قرى منظمة مؤلفة من بيوت بسيطة، مستطيلة الشكل، بنية من الطين والقصب، كما بنو بيوت دائرية، ذات جدران رقيقة، ومداخل مستطيلة، وسقوف مقببة، وهي تشبه خلايا النحل أطلق عليها الاسم اليوناني تولوس لتشابهها مع أبنية من مناطق بحر

إيجة العائدة للثقافة الميسينية، إن طبيعة الآثار التي وجدت فيها وبخاصة القبور، توحي بأنها لم تكن بيوت سكن وإنما معابد. وصنع الحلفيون في هذه المرحلة أوانيهم الفخارية بشكل يدوي، وكانت نوعيتها متوسطة، ومن الأنواع المنتجة كانت الجرار والأباريق والطاسات العميقة التي أطلق عليها اسم طاسات الحليب، وزخرفت هذه الأواني بالأشكال الهندسية كالخطوط العامودية المتوازية أو الخطوط المتموجة والدوائر، وزخرفت أيضاً بالأشكال الحيوانية كالطيور والأسماك والثعابين، بالإضافة لبعض الأشكال الإنسانية، ولونت هذه الزخارف بالأحمر أو البني، وصقلت بدقة

حلف الأوسط: تؤرخ على نحو ٦٠٠٠ إلى ٥٨٠٠ ق.م، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها موقع العربجية في العراق، وموقع تل حلف، وشاغربازار، وكشكشوك ١، وأم قصير، وشمس الدين، وخربة الشنف، والصبي الأبيض، ودامشلية وموقع حالولة في سورية. عاش الحلفيون خلال هذه المرحل في بيوت مستطيلة أكبر مساحة من السابق، وازدادت البيوت الدائرية المقببة [تولوس] وتراوح قطرها بين ٣-٩م، وتوحي كثافة هذه الأبنية في تل العربجية أن هذا المكان قد أصبح له أثر ديني متميز. ونشأت في هذه المرحلة ورشات تصنيع فخار كبيرة،

وتنوعت أشكال القطع وزخارفها، وتحسنت مادة صنعها، حيث أنتجوا عدة أنواع من الفخار، من بينها الفخار البسيط غير الملون، سميك الجدران، ولكن نسبته قليلة وهو امتداد لفخار المرحلة السابقة. ومن بينها أيضاً الفخار رقيق الجدران، جيد الصنع وغير ملون أيضاً. أما النوعية الأهم فهي الأواني الملونة من الطين الناعم الجيد، حيث شويت وصقلت وصبغت بألوان تتراوح من الأبيض الكريم ومن الأحمر إلى البني، وزخرفت بألوان فاتحة على خلفية غامقة، ورسمت فيها أشكال هندسية كالخطوط المتشابكة أو المتقاطعة، ولوحظ استخدام واضح لأشكال رؤوس الثيران التي أضحت ميزة هذه الفترة. وسادت في هذه الفترة أيضاً صناعة الملابس والمطرزات والحصر والسلال واستخدمت فيها الألوان كالأحمر والأسود والبني، وأصبحت الأشكال النباتية والحيوانية أكثر واقعية، واحتل رأس الثور المقدس فيها مكانا مركزياً

حلف المتأخر: تؤرخ نحو ٥٨٠٠ إلى ٥٣٠٠ ق.م، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها موقع العربجية وموقع ياريم تبة ٢ في العراق، وموقع تل حلف، وكشكشوك ١، وتل عقاب، وعمبرة، وحالولة وموقع شاغربازار في سورية. اختفت خلال هذه المرحلة الأبنية الدائرية

[تولوس] وحلت مكانها بيوت كبيرة مستطيلة مبنية من الطين المدكوك بعضها كان متميز وله وظيفة دينية مثل معابد ياريم تبة٢ . وبلغت في هذه المرحلة صناعة الأواني الفخارية القمة من حيث الدقة والجودة، فأصبحت رقيقة أطلق على بعضها [قشرة البيضة]، وهي متعددة الألوان والزخارف، استخدم فيها اللون الأبيض والأحمر والبني على خلفية وردية أو كريم، ورسمت عليها أشكال متنوعة منها الوردة ذات الأربع أوراق أو أكثر أو ما يسمى بصليب مالطة، وأشكال نباتية وهندسية أخرى، لكن تراجعت رؤوس الثيران التي انتشرت في المرحلة السابقة، كما دخلت أنواع جديدة كالصحون الرقيقة والجرار والقدور وبخاصة الصحاف وطاسات الحليب وحصل أيضاً خلال هذه الفترة تغير مهم في مجال الصناعة حيث بدأ الحلفيون باستخدام معدن النحاس في التصنيع.

رابعاً: ثقافة عبيد

سميت بثقافة عبيد نسبةً إلى موقع تل العبيد في العراق. وتعود هذه الثقافة للعصر الحجري النحاسي [الكالكوليت]، وتؤرخ على نحو ٦٥٠٠ إلى ٣٧٠٠ سنة ق.م، وتقسم من الناحية الكرونولوجية إلى ستة مراحل تطورية.

الإطار الجغرافي: ظهرت هذه الثقافة في جنوب بلاد الرافدين، ومن ثم انتشرت جنوباً وشمالاً، وغطت مناطق شاسعة امتدت من عربستان شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً، ومن زاغروس شمالاً إلى سواحل الخليج العربي والبحرين جنوباً، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها موقع تل العبيد، وموقع أريدو، وموقع حجي محمد في جنوب بلاد الرافدين، وموقع تبة غورا في شمال بلاد الرافدين، وموقع تل عقاب، وتل حلف، وشاغار بازار، وتل أم القصير، وتل زيادة، وتل قوزاق شمالي، وتل براك وموقع رأس الشمرا في سورية، وموقع تارسوس، ومرسين وسكاكويزو في الأناضول، وموقع سوسة في إيران.

مصادر الغذاء: عاش العبيديون على شكل مجتمعات قروية كبيرة امتهنت الزراعة التي كانت تشكل مع التدجين المصدرين الأساسيين للعيش، حيث مارس العبيديون الجنوبيون الزراعة المروية لندرة الأمطار، ومارس العبيديون الشماليون الزراعة البعلية لوفرة الأمطار في مناطقهم، وزرعوا في كلا المنطقتين بشكل أساسي القمح والشعير، ودجنوا في المناطق الشمالية الماعز والغنم، أما في المناطق الجنوبية فقد دجنوا الأبقار.

العمارة: تتشكل المواقع العبيدية من تجمعات على شكل قرى كبيرة وتلحق بها تجمعات أصغر تمثل قرى عبيدية صغيرة، ولعبت مواد البناء دوراً كبير في العمارة خلال هذه الفترة، حيث شيّد العبيديون الشماليون بيوتهم المربعة والمستطيلة من الحجر المتوفر كثيراً، عكس العبيديون الجنوبيون الذين شيّدوا بيوتهم من الطين والقصب لندرة الحجر، وكانت هذه البيوت عبارة عن أكواخ مبنية من الطين والقصب بالإضافة إلى بيوت مربعة أو مستطيلة مبنية من اللبن الطويل، وكانت تشكل هذه البيوت مع الشوارع المنظمة والمنشآت الأخرى نموذج للقرية العبيدية[٦]. أما بالنسبة للعمارة الدينية فقد كانت الأبنية في عصر عبيد الأول والثاني صغيرة ولم تتجاوز مساحتها ٤ X٤م، وبعد ذلك أصبحت أكبر وبدأت تأخذ أشكال تنم عن وظيفة دينية لها، حيث بنيت من اللبن الطويل وكان لها مدخل واحد وفي صدرها فرضة محراب وفي منتصفها منضدة أو طاولة لتقديم الأضاحي. وفي عصر عبيد الثالث تطورت الأبنية الدينية البسيطة التي سادت في المرحلتين الماضيتين وأصبحت أكبر حجماً، ومثال على ذلك معبد السوية الثامنة من موقع أريدو الذي وصلت أبعاده إلى ١٠ X٢٠م، وتم بنائه من اللبن الطويل، وكانت جدرانه سميكة ومستقيمة، وأطلق عليه اسم المعبد الثلاثي الأجزاء لأنه تألف

من ثلاث عناصر رئيسية وهي: صالة مستطيلة وكبيرة في الوسط جُعِلت حرماً لممارسة الطقوس وفي صدرها محراب، وصفان من الأبنية الصغيرة، يحيطان بالحرم من جانبيه كمساكن للكهنة أو مستودعات، ووجهة زوايا المعبد حسب الجهات الأصلية الأربع، وزينت جدرانه بنتوءات وتراجعات تقوي البناء وتعطيه منظراً جميلاً. إن هذا النمط من العمارة يمثل المعبد بكل معنى الكلمة ويجسد السلطة الدينية التي بدأت تأخذ طريقها وتقود عملية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للسكان. أما في عصر عبيد الرابع فقد انتشرت المعابد ثلاثية العناصر المدعمة بالعضادات والمزخرفة بالألوان.

الفنون: صنع العبيديون الدمى النسائية والحيوانية من الحجر أو الطين، ومثال على ذلك ما تم الكشف عنه في مستوطنة تل العقير قرب بغداد، حيث عُثر على منحوتات لنساء عاريات، ولرجال بصورة أنذر، ويبدو الوشم بوضوح على أيدي وأكتاف بعضها، أما الرؤوس فمزدانة بشعر مستعار. وصنعواً أيضاً الحلي وأدوات الزينة من الأحجار النادرة وصوروا مشاهد رائعة نباتية وحيوانية وإنسانية وهندسية على أوانيهم الفخارية. وصنع العبيديون أيضاً الأختام المسطحة من الحجر أو الطين وأحياناً من العظم، وزخرفوها بأشكال هندسية متعددة،

ثم طوروها من ناحية الزخرفة لتدخلها الزخارف الحيوانية المختزلة للمرة الأولى. كما صنعوا وللمرة الأولى الأختام الحجرية المربعة والمستطيلة، المزخرفة بمناظر دينية، ويرجح أن تكون تلك الأختام قد استخدمت في ذلك الوقت لإدارة المعبد.

الحياة الدينية: تجسدت خلال هذه الفترة سلطة المعبد، وبدأ يقود عملية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والديني، وكانت تمارس في المعابد الشعائر الدينية المتمثلة بالأعطيات والضحايا، حيث كان يتوجب على العباد تقديم الطعام والشراب والزيت للآلهة من أجل المباركة، كما كان يتوجب عليهم تقديم ضحايا حيوانية يتم ذبحها من قبل أحد الكهنة وهو يردد التعاويذ، وكان الدم الناتج من الذبح يستخدم شراباً لتكريم الآلهة، كما كان يتم إشعال البخور كطقس تطهيري أو خدمةً للآلهة. وتشير المرفقات الجنائزية التي تم اكتشافها في المدافن العائدة لهذه الثقافة إلى أن السكان كانوا يعتقدون بوجود حياة أخرى بعد الموت. أما بالنسبة للمقابر فقد انتشرت في هذه الفترة بشكل واسع، ومثال على ذلك المقبرة المكتشفة خارج أريدو التي يقدر عدد الأموات الذين دفنوا فيها بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ شخص، كما استمر العبيديون أيضاً بالدفن تحت أرضيات مساكنهم، وشاعت في هذه الفترة القبور

البسيطة البيضاوية الشكل، كما ظهرت القبور المشيدة باللبن ومثال على ذلك القبرين الذي عثر عليهما في مقبرة أور العبيدية، حيث حفرا بشكل مستطيل، ثم بنيت الأضلاع بالآجر الذي شيد به السقف أيضاً

صناعة الفخار: صنع العبيديون الأواني الفخارية واستخدموها في حياتهم اليومية ويمكننا تمييز ستة مراحل تطورية لهذه الثقافة بالاعتماد على اللقى الفخارية وهي باختصار من الأقدم إلى الأحدث:

عبيد صفر: تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٦٥٠٠ إلى ٥٩٠٠ ق.م، وقد تم توثيقها من خلال موقع أثري وحيد وهو تل العوالي الواقع في جنوب العراق، وتقتصر المعلومات عن هذه المرحلة على الفخار فقط، الذي يتميز بلونه البني المسود والمزخرف بزخارف هندسية

عبيد الأول: تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٥٩٠٠ إلى ٥٣٠٠ ق.م، وتسمى أيضاً بثقافة أريدو نسبةً إلى مدينة أريدو في جنوب العراق. بقية ثقافة عبيد خلال هذه المرحلة محصورة في جنوب بلاد الرافدين، وتميزت بصناعة فخار بسيط وخشن وداكن اللون مزخرف بزخارف

هندسية، ومن النماذج الأكثر شيوعاً كانت الجرار، والصحون، والأباريق، والكؤوس والطاسات. كما عرف العبيديون معدن النحاس، واستخدموه بشكل واسع في تصنيع أدواتهم

عبيد الثاني: تؤرخ هذه المرحلة على النصف الثاني من الألف السادس ق.م، وتسمى أيضاً ثقافة حجي محمد نسبةً إلى موقع حجي محمد الواقع في شمال موقع العبيد، وتمثل هذه المرحلة بداية الانتشار لثقافة عبيد، حيث امتدت لتصل إلى وسط بلاد الرافدين، وتحسن خلالها إنتاج الفخار فيما يخص العجينة واللون، وأصبحت الزخارف ذات الأشكال الهندسية أكثر تعقيداً، وتعددت أشكال الأواني المنتجة ونذكر منها الصحون، والأباريق التي تسمى الأواني السلحفاتية، والكؤوس والجرار الكبيرة ذات المقابض

عبيد الثالث: تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٥٣٠٠ إلى ٤٧٠٠ ق.م، وسمي فخارها بفخار العبيد الشمالي لأنه وصل إلى شمال سورية وحل محل فخار حلف ومثال على ذلك موقع حمام التركمان، وتل فراس الشرقي، وتل ليلان، وتل زيدان، والعمق E وتل العبر. ووصل أيضاً فخار هذه المرحلة إلى شرق الأناضول [تارسوس، مرسين وسكاكويزو]، كما وصل إلى السعودية، وقطر، والبحرين وسوسة. وأخذت أواني هذه المرحلة في البداية صفات فخار

حلف وعبيد [خلال فترة انتقالية بينهما] قبل أن يسود طابع فخار عبيد، ويصعب في بعض الحالات تمييزه عن فخار حلف. وصُنع فخار عبيد ٣ و ٤ بواسطة العجلة البطيئة، وكان من أكثر الأشكال شيوعاً الطاسات ذات الشكل النصف كروي والجرار ذات العنق القصير والمقلوب [مثال حمام التركمان، وتل بيدر ٣]. وكانت الأواني مشوية بشكل جيد وألوانها فاتحة [أصفر أو بيج، بني أو برتقالي] وهي تختلف عن أواني حلف بصلابة وقسوة جدرانها التي تعطي رنين معدني، وهي مطلية بألوان تتراوح بين رمادي وبني داكن أو أسود، ولوّنت فقط الأواني الصغيرة ذات الجدران النحيفة وأواني أخرى للمناسبات الاجتماعية، وكانت زخارفها بسيطة مثل شرائط عمودية، وخطوط متموجة أو خطوط أفقية، وصليب. وظهرت خلال هذه المرحلة تقاليد محلية في صناعة فخار عبيد الشمالي إذ اختفت الزخارف الملونة كما في تل ليلان وحمام التركمان، واستبدل السكان المحليين المركبات المعدنية للعجينة بالمركبات النباتية

عبيد الرابع: تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٤٧٠٠ إلى ٤٢٠٠ ق.م، ويتشابه فخارها مع فخار المرحلة السابقة، ولكنه أبسط وأقل جودة بشكل عام. وتتميز هذه المرحلة بظهور القوارير

ذات العنق الطويل والطاسات المزودة بأرجل حلقية، وكان إنتاج الفخار مخصص للاستخدام المحلي كما في تل زيادة، وقوزاق شمالي، وتل كوردو في سهل العمق. ومن أبرز المواقع الأثرية المعروفة في هذه المرحلة موقع تبة غورا، وتل ليلان، وحمام التركمان وخانيجدال في شمال غرب العراق

عبيد الخامس: تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٤٢٠٠ إلى ٣٧٠٠ ق.م، ويتميز فخارها بعجينته الخضراء، وبزخارفه الهندسية والنباتية

خامساً: الكالكوليت المتأخر (التقاليد المحلية والتوسع الأوروكي)

سميت هذه الثقافة بالوركاء أو أوروك نسبةً إلى مدينة الوركاء في جنوب العراق [مدينة أوروك التاريخية]. يتألف هذا الموقع من سلسلة من التلال تحتل مساحة إجمالية تقدر بنحو ٦.٥كم^{٢}، ويبلغ أقصى ارتفاع لها نحو ١٨م.

الإطارين الكرونولوجي والجغرافي: تعود هذه الثقافة لنهاية العصر الحجري النحاسي [الكالكوليت]، وتمثل المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ، وتؤرخ على نحو ٣٩٠٠

إلى ٣١٠٠ ق.م، وتقسم من الناحية الكرونولوجية إلى ثلاثة مراحل تطورية وهي أوروك المبكر والأوسط والأخير. وهي ثقافة ذات انتشار واسع في بلاد الرافدين، وغرب إيران، وغرب تركية، وفي الجزيرة العليا في سورية، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها مدينة الوركاء وموقع أريدو في جنوب بلاد الرافدين، وموقع تبة غورا في شمال بلاد الرافدين، ومدينة حبوبة، وتل قناص، وجبل عرودة، وتل حموكار، وتل براك، وتل مشنقة، وتل أم القصير، وتل حديدي، وتل جدلة في سورية

الحياة الاقتصادية: شهدت هذه الثقافة تطور مهم في النشاط الاقتصادي المتمثل بالزراعة وتربية المواشي والتبادل التجاري والصناعات الحرفية. وشهدت أيضاً تطور مهم في إدارة النشاط الاقتصادي، حيث كان المعبد يشرف على جمع وتوزيع الفائض من المنتجات الزراعية ومنتجات الحرف ويدير عملية التبادل التجاري. كما تطورت صناعة الأختام التي أصبحت حاجة أساسية في العمليات الاقتصادية وتوثيق الملكية

صناعة الفخار: كان لهذه الثقافة ميزاتها الخاصة في صناعة الفخار، حيث نلاحظ تراجع تقنية التلوين والزخرفة بشكل عام، وظهور أواني خشنة متعددة الأشكال، نذكر منها الأطباق

والطاسات والجرار ، وكانت معظم الأواني مصنوعة من عجينة ذات شوائب نباتية، ومن أهم ما يميز تلك الفترة هو استخدم الدولاب السريع والقوالب لإنتاج الفخار، وهذا يمثل نقلة نوعية نحو الإنتاج بكميات كبيرة. وكان الفخار أحادي اللون إما أحمر من نوعية جيدة في جنوب بلاد الرافدين، أو رمادي أقل جودة ذو زخارف بسيطة منفذة بالحز والتمشيط والضغط في شمال بلاد الرافدين[١١]. ومن أهم الأواني التي تميز تلك الفترة:

الأواني الناقوسية: وهي عبارة عن طاسات صغيرة ذات جدران سميكة مصنوعة من الطين الخشن، قعرها أضيق من فوهتها المقطوعة بشكل مائل نحو الخارج، وهي مصنوعة بواسطة القالب، وكان سطحها الداخلي أملس على عكس سطحها الخارجي، وفيما يخص وظيفتها فربما كانت تستخدم كمكاييل للحبوب أو للقربان النذري؟ أو قوالب للخبز؟ أو أواني للطعام؟ أو لتحضير الملح؟ أو صحون لمآدب الأغنياء.

أواني الزهور: وهي عبارة عن أواني متطورة عن الأواني الناقوسية، وهي مخروطية الشكل متنوعة الأنماط، صنعت بواسطة الدولاب البطيء، وأنتجت بكميات كبيرة، ومن المحتمل أن يكون لها نفس وظيفة الأواني الناقوسية.

كما ظهرت أيضاً جرار ضيقة الفوهة ذات مصبات طويلة ومنحنية مصنوعة بواسطة العجلة [تم تفسيرها كجرار للبيرة]، وطاسات ذات حواف مائلة وقدور مزودة بعدة مقابض. ويوصف فخار بلاد الرافدين وسورية خلال تلك الفترة بأنه عملي [مخصص للاستخدام] أكثر مما هو تزييني، ومنتج بكميات كبيرة وذو أنماط موحدة، ويتميز فخار سوسة العائد لنفس الفترة بزخارفه، ربما كان تزييني أكثر مما هو عملي، وإنتاجه أقل أي ربما صنع على الصعيد الفردي. وتشير نتائج أعمال البحث والتنقيب الأثري في المواقع الأثري العائدة لهذه الثقافة إلى أنها تطورت على ثلاثة مراحل وهي باختصار من الأقدم إلى الأحدث:

مرحلة أوروك المبكرة: تعود هذه المرحلة للعصر الحجري النحاسي المتأخر الثالث، وتؤرخ على نحو ٣٩٠٠ إلى ٣٦٠٠ ق.م، وهي تعادل السويات ١٤ إلى ٧ في مدينة الوركاء، كما كشف عن الآثار المميزة لهذا المرحلة في السويتين ٥ و ٤ من موقع أريدو المجاور، وفي الطبقة ١٢ من موقع تبة غورا في شمال بلاد الرافدين. صنع حرفيو هذه المرحلة نوعين من الفخار، الأول هو الفخار العادي رمادي اللون، انتشر في شمال بلاد الرافدين، سطحه غير مصبوغ وزخارفه بسيطة نفذت بالحز أو الضغط أو التمشيط ويسمى فخار أوروك الرمادي،

والثاني فخار أحمر اللون، استخدم في جنوب بلاد الرافدين ويسمى فخار أوروك الأحمر. وظهرت خلال هذه المرحلة الأوعية الناقوسية، وصُنِعت أيضاً أباريق بمصبات طويلة ومنحنية، وقدور لها عدة مقابض متعددة الحجوم والأشكال. كما استخدم حرفيو هذه المرحلة معدن النحاس لتصنيع عدة أنواع من الأدوات. وتتميز هذه المرحلة أيضاً بالعمارة الدينية، حيث شيدت المعابد وفق المخطط الثلاثي المعروف، ومثال على ذلك المعابد المكتشفة في موقع أريدو. كما تتميز بصناعة الأختام المسطحة التي تأخذ شكل نصف دائري يحمل زخارف هندسية وصور حيوانية وإنسانية، وترتبط هذه الأختام إلى حد كبير بتقدم التجارة وتزايد الإنتاج الزراعي والحيواني والحرفي والحاجة إلى تصدير البضائع ودمغها بأختام أصحابها بعد أن ظهرت الملكية الخاصة، حيث صُنِعت هذه الأختام من مواد طرية مثل الكلس والعظم والخشب، ومثال على ذلك الأختام المسطحة التي عثر عليها في موقع تبة غورا في شمال بلاد الرافدين.

مرحلة أوروك الوسطى: تعود هذه المرحلة للعصر الحجري النحاسي المتأخر الرابع، وتؤرخ على نحو ٣٦٠٠ إلى ٣٤٠٠ ق.م، وتبرز أهمية تل براك خلال هذه المرحلة، حيث تظهر

فيه تأثيرات من جنوب بلاد الرافدين [الأوعية الناقوسية] إلى جانب الفخار المحلي ذو السطح الغني بالقش. كما يوجد مواقع أخرى استخدم فيها فخار محلي وآخر أوروكي مثل تل مشنقة، وكشكشوك ٣، وكوران وكوربان هويوك، ويتميز الإنتاج المحلي في الشمال بالأواني المخروطية الشكل، وتجدر الإشارة إلى أن ثقافة أوروك انتشرت في منتصف ونهاية الألف الرابع ق.م في شمال سورية، والأناضول الشرقية، وظهرت بعض الأواني الناقوسية في غرب سورية منذ نهاية فترة العمق F وحتى فترة العمق G وأيضاً في حماه المرحلة K.

مرحلة أوروك الأخيرة: تعود هذه المرحلة للعصر الحجري النحاسي المتأخر الخامس، وتؤرخ على نحو ٣٤٠٠ إلى ٣١٠٠ ق.م، وهي تمثل حضارة الوركاء الحقيقية وتطابق السويات ٧ إلى ٤ من مدينة الوركاء، كما كشف عن الآثار المميزة لهذه المرحلة في الطبقات ١٥ إلى ٥ من موقع أريدو، وتل قاليج آغا الواقع في مدينة أربيل العراقية، ومدينة حبوبة، وموقع قناص، وجبل عرودة وتل براك وحموكار في الجزيرة العليا في سورية. يتميز الإنتاج المحلي لهذه الفترة بالأواني ذات المصب المتدلي كما في تل حموكار، ويتشابه فخار المستوى ١٢ من تل براك مع فخار حبوبة الكبيرة، وتظهر فيه تأثيرات قادمة من جنوب بلاد الرافدين، حيث عثر

على مجموعة من أواني الزهور في تل براك [السوية ١٠ و ١١] تؤرخ على نهاية الألف الرابع ق.م. وكان لفخار أوروك المتأخر في شمال بلاد الرافدين تأثيرات في تطور الفخار الملون والمحلي الذي سيتحول فيما بعد إلى فخار نينوى ٥ المميز لبداية الألف الثالث ق.م. وربما أثرت ثقافة أوروك في ثقافات بلاد الرافدين الأخرى منذ نهاية الألف الرابع ق.م، فظهرت ثقافات محلية متأثرة نسبياً بها وهي ثقافة جمدة نصر في وسط بلاد الرافدين، وثقافة نينوى ٥ في شمال بلاد الرافدين.

أما بالنسبة للعمارة فقد تطورت كثيراً خلال هذه المرحلة، حيث شيدت المدن الكبيرة المسورة وفق مخطط مسبق، وظهرت بوابات المدن، وتطورت عمارة المساكن والعمارة الدينية فيها، ومثال على ذلك مدينة حبوبة الكبيرة وتل قناص وجبل عارودة، حيث شُيدت مدينة حبوبة الكبيرة على الضفة الغربية للفرات الأوسط وفق مخطط مسبق على مساحة بلغت ١٨ هكتاراً، وأحيطت المدينة بسور يحتوي على بوابتين للدخول إلى المدينة التي يخترقها شارعان رئيسيان تتفرع عنهما شبكة من الطرق الفرعية تتوزع عليها المساكن. وبالنسبة للسور الذي يحيط بالمدينة فهو مبني من الآجر ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار، وهو محمي بتسعة أبراج

دفاعية متساوية الأبعاد ٥.٥×٣.٥م، وفيه نتوءات أمامية وخلفية على مسافات متساوية، وأقيم أمام السور الأصلي سور آخر أضعف على بعد عشرة أمتار، بقي من ارتفاعه حوالي ٧٠ سم تمثل اللبنات السفلى المحفوظة بشكل جيد من الجهة الشمالية والغربية، بينما زالت من جهتها الجنوبية، أما من الجهة الشرقية فكان الفرات يؤمن الحماية المطلوبة. ويتم الدخول إلى المدينة عن طريق بوابتين شمالية وجنوبية لهما برجان دفاعيان ولكل منهما مصراعان لتسهيل عمليات العبور. ويخترق المدينة شارعان رئيسيان أولهما من الشمال إلى الجنوب والثاني من الشرق إلى الغرب يتفرع عنهما شبكة من الطرقات الأصغر. وقد رصفت أرضية هذه الشوارع بالحصى وأحيطت بإطارين من اللبن، أما أقنية تصريف المياه المالحة فقد بنيت من الحجارة وسقفت بالبلاط وكانت تصب في الوديان أو في حفر فنية خاصة. وفيما يخص البيوت، فقد كانت متلاصقة، أساساتها من الحجر، وجدرانها من اللبن والخشب، وقد زخرفت واجهات بعضها بأحجار طينية ملونة [موزاييك]، وهي مبنية وفق المخطط الثلاثي الأجزاء الموروث من عصر عبيد. كما تميزت هذه المرحلة أيضاً بالعمارة الدينية حيث شُيدت المعابد وفق المخطط الثلاثي المعروف، وزودت بمصاطب أمامية،

ومثال على ذلك تل قناص الواقع إلى الجنوب من مدينة حبوبة والذي يمثل الجناح الإداري والديني لهذه المدينة، وموقع جبل عارودة الواقع على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال من مدينة حبوبة، حيث عثر في تل قناص على ثلاثة معابد وهي المعبد الشمالي والمعبد الجنوبي وبينهما المعبد الشرقي:

المعبد الشمالي: تبلغ أبعادة ١٨.٦٠×١٦.٤٠م، وهو مبني وفق المخطط الأوروكي ثلاثي العناصر، حيث توجد صالة مركزية في الوسط [تحوي على حوضين مقدسين] باتجاه شمال جنوب يحيط بها خمس غرف، اثنتان في الجدار الشرقي وثلاث في الجدار الغربي، أبوابها متناظرة وتنفتح على الصالة المركزية. وقد استخدمت العوارض الخشبية واللبن في بناء هذا المعبد، وطليت جدرانه التي تبلغ سماكتها ١.٤٥م بالطين، أما السقف فهو محمول على أعمدة خشبية ومغطي بالخشب والطين.

المعبد الشرقي: وهو نموذج مصغر عن المعبد الشمالي، صالته المركزية باتجاه شرق غرب ويحيط بها خمس غرف، اثنتان على امتداد الجدار الشمالي وثلاث على امتداد الجدار

الجنوبي، ولهذه الغرف أبواب متناظرة تنفتح أيضاً على الصالة المركزية، كما يحيط بها مستودعات.

المعبد الجنوبي: بني وفق مخطط مختلف عن المعبدين السابقين، وهو يتألف من صالة واحدة، أبعادها ١٤م×١٠م وسماكة جدرانها ٢م، ولها نفس اتجاه الصالة المركزية في المعبد الشمالي، وهي مزينة بمحاريب صغيرة وكبيرة متناظرة ومتساوية في أبعادها، ويقوم على الجدار الشمالي للمعبد منضدة مستطيلة، وعلى جانبيها الطوليين مصطبتين لممارسة الشعائر.

كما عثر في موقع جبل عارودة على معبدين لهما نفس الأجزاء الثلاثية التي عرفت في المعابد الأوروكية الرافدية، حيث بنيا فوق مصطبة عالية تحيط بهما مجموعة من مساكن الكهنة، وزينت جدرانها بمسامير طينية مخروطية الأشكال وملونة، وهما:

المعبد الأحمر: وهو الأقدم، بني من الآجر الأحمر، وتبلغ أبعاده ١٣م × ١٢م، وهو يتألف من صالة مركزية تحيط بها غرف ثانوية.

المعبد الرمادي: يتألف أيضاً من صالة مركزية فيها منضدة، وغرف جانبية ارتفاعها ٣م، تقوم على امتداد جداره الطولي.

أما بالنسبة للفنون، فقد تطورت بكل أنواعها وبخاصة نحت التماثيل التي جسدت آلهة أو متعبدين خاشعين، وكان التركيز في فن النحت ينصب على الوظيفة الدينية، كون جميع النماذج النحتية قد وجدت في بيئة دينية متمثلة بأبنية المعابد، وكان النحت مرتبطاً بالمعبد أو بمؤسسات عامة راقية المستوى، ويبدو أن النحاتين والحرفيين قد عملوا في ورشات خاصة بالمعبد أو كانوا تابعين له، ومن أبرز التماثيل التي عثر عليها في موقع الوركاء رأس رخامي أنثوي صغير مصنوع من الحجر، كان مثبتاً على قاعدة خشبية، والعيون والحواجب مرصعة، والشعر منفذ بواسطة النحاس. ومن النماذج الفنية المميزة أيضاً قناع لشخص ذكر ذو شكل بيضوي مصنوع من مادة الحجر الكلسي، عثر عليه في موقع جبل عارودة وهو محفوظ في متحف حلب وتبدو فيه العيون دائرية، قد تكون في الأصل منزلة بشكل منفصل ومصنوعة من مادة مغايرة، أما الفم فيبدو مفرغ وعلى شكل مستطيل، والشعر ممثل على شكل تحزيزات نحو الأسفل على كامل الجبهة، وعلى الذقن تبدو تحزيزات تشير إلى شعر

الذقن، ويشير هذا الشكل إلى وظيفة نذرية معينة كانت تتم بواسطة هذا القناع. كما عثر في تل براك على أكثر من ثلاثمائة شكل مما يسمى بدمى العيون، على أرضية معبد العيون، وهي مصنوعة من مادة الألباستر الأبيض، وتمثل أجساماً بشرية يبدو منها الكتفين والرقبة والعيون، وكانت وظيفة تلك الأشكال دينية، مع أن تفسيرات كثيرة طرحت حولها، والغالب أنها تمثل هبات نذرية قدمت للمعبد. و

عثر في تل براك أيضاً على تمثال لرأس بشري يشبه القناع، مصنوع من الألباستر الأبيض، وهو محفوظ في متحف حلب، تبرز فيه العيون الكبيرة، وتوجد في الخلف حفرتين في الرقبة وأخرى في قمة الرأس تشير إلى أنه كان يثبت على لوحة خشبية بواسطة مسامير أو مادة أخرى، وتعلو الرأس القلنسوة المتطاولة المشابهة للأشكال الموجودة على دمى العيون، وتفسر هذه الأشكال بأنها كانت تعرض كديكورات دينية في المعبد. وبالإضافة لما سبق فقد صوّر فنانو هذه الثقافة مشاهد ميتولوجية على أختامهم مثل مشهد الراعي الصالح، وعلى المزهريات الجميلة التي صنعوها، ومثال على ذلك مزهرية نوش المصنوعة من الألباستر والتي يبلغ ارتفاعها ٩٠ سم. كما شهدت هذه المرحلة الظهور الأول لفن الموازييك ومثال

على ذلك المسامير الطينية الملونة بالأحمر والأسود التي كانت تزين واجهة أحد المعابد. وصنعت خلال هذه المرحلة أيضاً الأختام الاسطوانية، ونقشت عليها أشكال ميتولوجية أو مدنية متنوعة.

سادساً: الثقافة الغسولية

سميت هذه الثقافة بالغسولية نسبةً إلى موقع تليلات الغسول المتوضّع على بعد ٥ كم إلى الشمال الشرقي من البحر الميت وهو موقع كبير مؤلف من مجموعة تلال صغيرة، تبلغ مساحته نحو ٢٠ هكتار

الإطارين الجغرافي والكرونولوجي: ظهرت الثقافة الغسولية في المشرق الجنوبي، وانتشرت في محيط البحر الميت ووادي الأردن والمناطق المجاورة، ومن أهم المواقع الأثرية العائدة لها موقع تليلات الغسول بالقرب من البحر الميت، وموقع أبو حامد في وادي الأردن وموقع عين جدي وموقع مجدو في صحراء النقب، وهي تعود للمرحلة الوسطى من العصر الحجري النحاسي [الكالكوليت] في المشرق الجنوبي، وتؤرخ على نحو ٤٦٠٠ إلى ٣٦٠٠ ق.م

العمارة: عاش الغسوليون في تلك المناطق على شكل مجتمعات قروية، سكنت في قرى منظمة مؤلفة من بيوت ومعابد، تفصل بينها شوارع، ويعتبر موقع تليلات الغسول من أهم الموقع الغسولية التي تعطينا فكرة واضحة عن العمارة المدنية والدينية خلال تلك الفترة، حيث كُشف فيه عن بقايا معمارية مهمة من بينها بيوت دائرية صغيرة، على شكل حفر في السويات الأقدم، ثم ظهرت في السويات الأحدث بيوت كبيرة مستطيلة، تراوحت أبعادها بين ١٥×٥م، بُنيت من اللِبن فوق أساسات حجرية عميقة، أرضها من الطين المرصوص، وسقوفها من الطين والقصب، ترتفع على أعمدة، وتحيط بهذه البيوت مساحات مكشوفة عُثر فيها على دلائل مواقد وتنانير ومخازن بعدة غرف ومشاغل مختلفة. وهناك بيوت صغيرة على شكل حفر دائرية قطرها بين ١-٢م مبنية من الحجارة، يُعتقد أنها خُصصت لعمليات دباغة الجلود. كما وُجد نمط آخر من المنازل المستطيلة ذات الجدار الواحد المنحني، وهو الجدار الأقصر للمنزل.

وعثر في هذا الموقع أيضاً على بناءان كبيران وهما المعبدين A و B، أقيم حولهما سور، وهما يمثلان المرادف الثقافي للمعابد الرافدية من الفترة نفسها، ويتألف كل منهما من صالة

مركزية مستطيلة لها بعض الملحقات كالأسوار، وفيها بوابة، كما حفر أحياناً في السور حوض ماء كبير، وبلغت سماكة الجدران متراً واحداً، وهي مبنية من الحجر والطين ومطلية باللون البرتقالي كما هو الحال في المعبد A، أما الأرضيات فقد غطيت بالجص وطليت باللون الأبيض، ويحتوي المعبد B على منصة مبنية من الحجارة. وينخفض المعبد A عن المعبد B ويتم النزول إليه بدرج حجري، وهناك غرفة صغيرة في الجهة الجنوبية من المعبد، كما فتحت نافذتان على طرفي الباب.

واكتشفت معابد أخرى مشابهة لمعابد تليلات الغسول في النقب مثل معابد عين جدي ومجدو، وعثر في أرضيات تلك المعابد على الكثير من اللقى الهامة، منها دمى صغيرة مثلت الآلهة

مصادر الغذاء: اعتمد الغسوليون في معيشتهم على الزراعة والتدجين، حيث زرعوا القمح والشعير والبقول بأنواعها، ودجنوا الغنم والماعز والبقر والخنازير والحمير

الصناعات: تتميز هذه الثقافة بصناعة الأواني الفخارية التي كانت في البداية عادية وبسيطة ثم أصبحت أكثر إتقاناً، وغدت ملونة ومزخرفة بخطوط وأشكال هندسية متنوعة، ومن أهم

تلك الأواني أواني التخزين الضخمة المزخرفة بالحز وآثار الحبال أو الطبع بالأصابع، وهناك أواني فخارية لها رقاب عالية وأخرى على شكل مضخة، استخدمت لاستخراج الزبدة من الحليب، وبشكل عام تميز الفخار الغسولي بثلاثة أنواع وهي:

أولاً: الفخار الخشن، صنعت منه الجرار ذوات القاعدة المنبسطة، والفوهات الواسعة عديمة الرقبة، وزخرفة الفوهة أحياناً بواسطة حفر غائر.

ثانياً: فخار رمادي مصقول، ظهرت منه أطباق وكؤوس ذات أرجل ثلاثية، حوافها مزخرفة بزخارف بارزة.

ثالثاً: فخار أحمر مصقول، ظهرت منه أشكال عديدة منها أواني الطبخ، والأطباق والكؤوس.

وبالإضافة لما سبق فقد صنعوا مزهريات حجرية على شكل صحن عميق يرتكز على قاعدة تتخللها مجموعة من الفتحات، يُظن أنها استخدمت كمباخر، وصنعوا أيضاً الفخار الجنائزي الممثل بالمدافن أو التوابيت الفخارية، بعضها على شكل بيوت ترتكز على أربع قوائم أسطوانية ولها سقف دائري غير مزخرف، وبعضها الآخر عبارة عن توابيت مؤلفة من

صندوق مستطيل من الطين، يميل من الأعلى مثل "الجملون" وعليه زخارف. كما صنعوا أدوات حجرية متنوعة كالرحى والأجران والنصال والمناجل والمقاشط ذات الشكل المروحي، وصنعوا الأدوات العظمية، وأدوات صناعة الأخشاب، ومختلف أنواع الخرز، ورؤوس الهراوات، والثقالات وحجارة المغازل، إضافة إلى أحجار دائرية الشكل يُعتقد أنها استخدمت لوضع الأصواف المصبوغة عليها، كما وُجد في المواقع الغسولية القليل من الأدوات النحاسية كالبلطات والفؤوس.

الفنون: تميز الغسوليون بنحت الدمى الحجرية، حيث نحتوا دمى بشرية محورة ودمى حيوانية تمثل الثور خاصة. كما رسموا على الجدران لوحات تصويرية متعددة الألوان ومن أهمها لوحه تمثل ثلاثة رجال ولوحه تمثل طائر ملون، ولوحه تمثل رجلاً يجلس أمامه شخصان يلبس أحدهما حذاء مطرز، ولوحه تمثل رسم الشمس، وسبعة أقمار محاطة بتزيينات هندسية، وصور خيالية أهمها الأقنعة الغامضة المحدقة في الناظر إليها بعيون بيضاء، كما رسموا أشكال آدمية وحيوانية على سطوح الأحجار.

الدفن: تميز الغسوليون بعادات دفن خاصة أهمها عادة الدفن داخل الجرار الفخارية التي استخدمت لدفن الأطفال بشكل خاص ومن هذه العادات أيضاً عادة الدفن بشكل قرفصائي داخل حفرة في إحدى زوايا المنزل

سابعاً: ثقافة جبيل–بيبلوس (مرحلة النيوليت الأوسط ومرحلة النيوليت الحديث)

مرحلة النيوليت الأوسط في جبيل:

تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٥٨٠٠ إلى ٥٤٠٠ سنة ق. م، تطورت خلالها مساحة القرية لتبلغ نحو ١٥٠٠ م^{٢} ، وشهدت هذه المرحلة تطور مهم في مجال العمارة حيث ظهرت البيوت متعددة الحجرات واختفت الأرضيات المطلية بالكلس باستثناء مبنى واحد فقط يحمل طابع جنائزي ويدعى بيت الموتى، وهو يتألف من غرفة مركزية كبيرة تحيط بها غرف أصغر، وعثر في الغرفة المركزية على كمية هائلة من التربة الحمراء المنقولة من أسفل التل وتغطيها عدة سويات من التربة الكلسية عثر فيها على أكثر من ثلاثين هيكلاً عظمياً مكدسة بدون انتظام، كما عثر في زاوية إحدى الغرف المجاورة على توضع لجماجم في وسط حوض مستطيل يحدّده جدار صغير.

استمرت خلال هذه المرحلة عملية الدفن وفقاً للنماذج الثلاثة من القبور التي ذكرناها في النيوليت القديم، ولكن حظيت في هذه المرحلة عملية الدفن بالجرار المصنوعة من الفخار المشوي بالأغلبية وهي نوعية الدفن المخصصة للأطفال الصغار والرضع

أعتمد سكان هذه المستوطنة في معيشتهم على الزراعة والتدجين أي مثل سابقيهم في مستوطنة النيوليت القديم، حيث زرعوا القمح والشعير، وقاموا بتدجين عدة أنواع من الحيوانات مثل الغنم والماعز والخنزير والأبقار، كما اعتمدوا على الصيد البري والبحري، وكذلك على جمع والتقاط بعض أنواع النباتات وثمار الفاكهة البرية.

أما بالنسبة لصناعاتهم فقد استمروا في صناعة الأدوات الحجرية والعظمية بدون أي تغيير يذكر عما كانت عليه في المرحلة السابقة، حيث صنعوا نبال الصيد ونصلات المناجل والسكاكين والخناجر، وصنعوا أيضاً سنارة الصيد العظمية والإبر والمثاقب، وعثر في هذه القرية على مجموعة من الأدوات الحجرية الثقيلة مثل الأجران والمدقات الكلسية والبازلتية المخصصة لتحضير حبوب القمح والشعير، وعثر أيضاً على صوامع وحفر تخزين للقمح والشعير وكانت بعض تلك الحفر طبيعية والبعض الأخر محفور من قبل سكان المستوطنة،

وتطورت خلال هذه المرحلة صناعة الأدوات الخشبية وبخاصة المقص والمثقب والفأس بالإضافة لقبضات الأدوات الحجرية

أما بالنسبة لصناعة الفخار، فكان من أهم التطورات التي طرأت على الأواني الفخارية الغامقة أو الفاتحة ظهور الأواني بقاعدة مسطحة، وأصبحت العجينة أقل نعومة من السابق، وكذلك تنوعت الزخارف المرسومة، وأصبحت الزخارف الهندسية أكثر تعقيداً من السابق

مرحلة النيوليت الحديث في جبيل:

تؤرخ هذه المرحلة على نحو ٥٤٠٠ إلى ٥٠٠٠ سنة ق. م، وتتشابه عمارتها مع عمارة القرية السابقة، وعثر فيها خارج بيوت السكن على مساحات مخصصة لأعمال متنوعة، وهي مؤلفة من منشآت دائرية كبيرة نوعاً ما، مشغولة بعناية، ويصل قطر بعضها إلى ٣م، أرضياتها من الحجر المطلي بالكلس أو طبقة من الطين، وجدرانها الدائرية مشيدة بالحجارة، وكانت تستخدم تلك التشييدات على الأرجح لجرش الحبوب، كما ظهرت خلال هذه المرحلة الصوامع الدائرية ذات الجدران المرتفعة المبنية من الحجارة والمطلية بالطين، واستخدموا أيضاً حفر التخزين المطلية بالطين لتخزين الحبوب

أما بالنسبة لمدافنهم فقد تطورت طريقة الدفن بالجرار الفخارية المشوية وأصبحت في هذه المرحلة مخصصة لجميع الفئات العمرية. كما تطورت صناعة الأواني الفخارية وأصبحت أكثر تنوعاً. وفيما يخص أدواتهم الحجرية والعظمية فكانت مشابهة لأدوات المرحلة السابقة، أما أدواتهم الخشبية فقد تطورت وأصبحت أكثر تنوعاً.